الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

مسار: تاريخ

حملة السّلطان أحمد المنصور على بلاد السّودان الغربي سنة (990 - 999 هـ / 1582 - 1591م)

مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين:

- بوسيف تركية
- بوعريشة شهرزاد

إشراف الأستاذة:

دوبالي خديجة

أعضاء اللجنة

- خنفار الحبيب.....رئيسا
- دوبالي خديجة.....مشرفا ومقررا
- الزاهي محمد.....مناقشا

السنة الجامعية: 2016–2017 م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكـــــــــــر

إن أول شكر يكون للأمجد الذي له نمجد وأيدينا له نمدد فأجابنا ولم يخيبنا، إلى الواحد الأحد الذي كرمنا بنعمة العقل، وبث فينا روح الجد والمثابرة فالحمد له كل الحمد، والشكر له نعم المولى ونعم النصير.

نتقدم بالشكر الجزيل والخاص للأستاذة المشرفة دوبالي خديجة ولجنة المناقشة الأستاذ خنفار حبيب والأستاذ الزاهي محمد على قبولهما مناقشة هذه المذكرة ثم على حلمهما وصبرهما في قراءتها وتصويب أخطائها وزلاتها.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذة القسم الذين تتلمذنا على أيديهم.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا

إلى من جعل الله من نبـــض قلبـــــها أول صوت يسمـــــع

ومن دفئ حضنــها أول مـــــأوى يسكـــن أمــي مسعـــودة

إلى مـــن كـــان سببا في وجـــودي إلى من حـرم نفســه ليعطيني

إلى حبيـــــي نـــور عينـــــي أبي خليـــل

إلى من لانحلو الحيـاة إلا بقربهـم إخـــوتي إسمـاعيل مـــراد رابـح كريمـة

إلى رفيقة دربـــي بختة

إهداء خاص للأستاذ خالد الأستاذ حسين. الأستاذ يوسف

إلى مـــن جمعني بهم القـــدر صديقـــاتي نوال شهرة فوزية صبرينة مباركة حنان أمال حياة نور فاطمة نصيرة

إلى كل من قدم وسعه قلبـــي ولم يذكره قلمـــي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)

تركية

إهداء

إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار ..إلى من علمني العطاء بدون انتظار ..إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ..إلى من به أكبر وعليه أعتمد ..إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي ...إلى من أحمل اسمه وأنا فخورة بذلك ..والدي العزيز

إلى زهرة حياتي إلى معنى إلى الحب والحنان ..إلى من بوجودها أكتسب قوة ومحبة إلى بسمة الحياة وسر الوجود ..إلى من كان دعاءها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى من أرتاح في حضنها وإلى أغلى إنسان ..أمي الحبيبة ..

إلى كل من جمعنا سقف واحد واحتضننا صدر واحد ..إخوتي إلى أبناء أختي عبد الرزاق ومراد .

إلى صديقات دربي :قمرة ، صابرينة ،بختة ،تركية ، ،فاطمة ،فوزية ،سمية ،نوال، خيرة كريمة إلى من لاقتني بهم أيام الدراسة .

إهداء خاص إلى قمرة والأستاذ خالد والأستاذ حسين ويوسف .

إلى إخوتي كل من وهاب ،صديق ،سفيان ،فريد ،

إلى كل من وسعه قلبي ولم يكتبه قلمي.

شهرزاد

قائمة المختصرات:

تح: تحقيق.

تر: ترجمة.

تق: تقديم.

تع: تعليق.

ج: جزء.

د س ط: دون سنة الطبع.

د ط: دون طبعة.

د م ط: دون مكان الطبع.

س: سنة .

ص ص: تعدد الصفحات.

ص: صفحة.

ط: طبعة

م ط: مكان الطبعة.

مج: مجلد.

هـ: الهجري.

م: الميلادي.

مقدمة

تمتد بلاد السودان على مساحة واسعة من غربي القارة الإفريقية بين منطقتين متباينتين طبيعيا وبشريا واقتصاديا هما: الصحراء الإفريقية الشاسعة في الشمال والغابة الاستوائية في الجنوب، وقد اشتهرت منذ القدم بنهر النيجر وبمعدن الذهب وبتجارة الرقيق، مما ساهم في توافد التجار عليها خاصة من شمالي إفريقيا وأوروبا الغربية، هذا ما جعلها محل أطماع الدول الأوروبية، ولم تقتصر على هذه الأخيرة فقط بل تعدت إلى أطماع سلاطين المغرب أيضا على العموم والسلطان السعدي أبو العباس أحمد المنصور الملقب بالذهبي على وجه الخصوص.

وعليه فبحثنا هذا سيخص بالدراسة حملة المنصور الذهبي على بلاد السودان الغربي خلال الفترة الممتدة من سنة **1583**م وإلى غاية سنة **1591**م محاولين تسليط الضوء على مجرياتها والانعكاسات المترتبة عليها.

تكمن الأهمية التاريخية للموضوع كونه يسلط الضوء على أهم الوقائع التاريخية التي عرفتها منطقة السودان الغربي والمغرب الأقصى خلال الفترة قيد الدراسة؛ ضف إلى ذلك توضيح السبل والوسائل التي استخدمها المنصور الذهبي في تنفيذ مشروع الغزو، وانعكاسات هذا الأخير على الطرفين – بلاد السودان الغربي والمغرب الأقصى.

نظرا للأهمية التاريخية التي اكتساها الموضوع حركت لدينا دافعا لتبنيه أكاديميا، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الأسباب لعل من أهمها رغبتنا في التعريف بجغرافية بلاد السودان الغربي والاطلاع على أوضاعه خلال القرن السادس عشر، وكيف أثرت الحملة التي حركها أحمد المنصور الذهبي على البلدين .

وللتنويه فموضوعنا هذا ليس بالجديد في مجال الدراسات الأكاديمية، وإنما سبقتنا بحوث أخرى كانت بمثابة نقطة انطلاق لهذا البحث، ومن بينها نذكر على سبيل المثال لا الحصر الدراسة الموسومة بـــ: الوجود المغربي لمنطقة السودان الغربي في القرنين (**9-10**هـ/**15-16**م) لعبد الرحمن قدوري التي تناول في دراسته التطور السياسي والحضاري لمنطقة السودان الغربي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين وتناول الوجود العسكري والاجتماعي والثقافي المغربي ببلاد السودان الغربي.

ولمعالجة هذا الموضوع انطلقنا من **الإشكالية** التالية: إلى أي مدى نجح أحمد المنصور في توسيع مملكته على حساب بلاد السودان الغربي؟ وهل استطاع تحقيق طموحاته التوسعية ؟.

اندرجت تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات لعل من أهمها نذكر: فيما تمثلت العلاقات المغربية السودانية قبل حملة أحمد المنصور على السودان الغربي؟ وماهي أبرز دوافع الحملة؟ وما هي الاجراءات والاستعدادات المتخذة لإنجاحها؟. وما هي الانعكاسات المترتبة عنها على الطرفين –المغرب وبلاد السودان الغربي؟.

وللإجابة على كل هذه التساؤلات اعتمدنا خطة بحث ضمت مدخل وفصلين، فالمدخل كان بعنوان: "**نشأة المملكة السعدية (1509-1582م)**"، عالجنا من خلاله الأوضاع التي سبقت مرحلة ظهور الحكم السعدي، ثم التأسيس، فمعركة وادي المخازن التي اعتبرت منعرجا حاسما في مستقبل المغرب، ذلك أن من أهم الانعكاسات الناجمة عن انتصار الجيش المغربي على القوات البرتغالية ظهور شخصية أحدثت انقلاب في موازين القوى ألا وهي شخصية أحمد المنصور الملقب بالذهبي، هذا الأخير حاولنا من خلال الجزئية الأخيرة وضع ترجمة مختصرة له.

ثم الفصل الأول الموسوم بـ: "**الإطار الجغرافي لبلاد السودان الغربي وعلاقاته مع المغرب الأقصى قبل سنة 1591م**". اندرج تحته ثلاث مباحث؛ أما المبحث الأول فحاولنا من خلاله التعريف بأصل التسمية ورسم المعالم الجغرافية لبلاد السودان الغربي.

أما ما يخص المبحث الثاني فقد تناولنا فيه أهم مماليك السودان الغربي التي تعاقبت عليه منذ فترة طويلة، بداية بمملكة غانا التي تعتبر من أقدم المماليك في غربي إفريقيا حيث سقطت بعد قرن من الزمن، ثم عقبتها مملكة مالي التي تعد أقوى وأغنى الدول الإفريقية التي ظهرت بعدها، ولكن بدخولها مرحلة الانحطاط عقبتها مملكة الصنغاي، وتعد هذه الأخيرة من أطول الممالك عمرا في غربي إفريقيا.

أما المبحث الثالث فعالجنا من خلاله العلاقات المغربية السودانية قبل سنة **1591**م، التي عرفت تطورا كبيرا على مر العصور وفي مختلف المجالات، فمن الجانب الاجتماعي كان هناك عمق التلاحم التاريخي بين البلدين، والدليل على ذلك وجود عدة عائلات مغربية في المنطقة، أما من الناحية الاقتصادية فقد نشطت حركة التجار بين المنطقتين بسبب الدور الريادي الذي أدته قبائل لمتونة ومسوفة وجدالة، أما فيما يخص الجانب الثقافي، فانتشار الإسلام بفضل الدور

الذي لعبه التجار المسلمون، والعلماء الذين تنقلوا ما بين البلدين ساعد على نشر الثقافة الإسلامية.

أما الفصل الثاني الموسوم بـ: **سيرورة الحملة (الوقائع والأبعاد) من سنة 1583م إلى غاية 1591م**، فقد اندرج تحته أربع مباحث، أما المبحث الأول فكان عبارة عن عرض لأهم الدوافع المحركة للحملة، سواء في جانبه، الاقتصادي أو السياسي وحتى العسكري.

أما فيما يخص المبحث الثاني من هذا الفصل فقد تطرقنا من خلاله إلى عرض تفاصيل إعداد الحملة. أما فيما يخص المبحث الثالث فتطرقنا إلى سيرورة الحملة من سنة **1583**م إلى غاية **1591**م، أما المبحث الرابع كان عبارة عن عرض لأهم انعكاسات الحملة على المغرب الأقصى و السودان الغربي.

ثم خاتمة البحث التي كانت عبارة على مجموعة من الاستنتاجات استخلصناها من المادة التاريخية التي توفرت لدينا. كما أرفقنا بحثنا هذا بمجموعة من الملاحق اتصلت اتصالا مباشرا بالموضوع.

وللتأسيس لهذه الخطة تاريخيا ومنهجيا اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع من أهمها نذكر:

– **الاستقصا لأخبار لدول المغرب الأقصى الجزء الخامس** لصاحبه **الناصري** ، فمؤلفه يعتبر من أهم المصادر التي تناولت الحقبة السعدية في المغرب الأقصى، إلا أنه لم يعتمد التأريخ الحولي للوقائع التاريخية، كما أنه تعامل مع الأحداث ببعض الذاتية، فقد حاول اصباغ حملة المنصور بالشرعية، إلا أن مؤلفه أفادنا كثيرا في إثراء مختلف المحطات التاريخية للبحث

– **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** للمؤرخ **الأفراني محمد الصغير**، ساعدنا في التعرف على النقاش الذي دار بين المنصور الذهبي ومجلسه حول موضوع الحملة، كما مكننا من التعرف على وضع الجالية الأندلسية في عهد المنصور ومشاركتها في الحملة.

– **الروض المعطار في خبر الأقطار** لصاحبه **الحميري محمد بن عبد المنعم**، يعتبر تأليفه من المصادر الجغرافية التي لا يمكن الاستغناء عليها، وبالتالي فقد رجعنا إليه لتخريج بعض المناطق.

– **أثار البلاد وأخبار العباد** للمؤرخ **القزويني زكريا بن محمد بن محمود وصورة الأرض لابن حوقل وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقديسي محمد بن أحمد،** فقد ساهموا بقسط كبير في تحديد الموقع الجغرافية لبلاد السودان الغربي.

هذا فيما يخص المصادر التاريخية والجغرافية أما عن المراجع فهي بدروها قدمت مادة تاريخية مهمة غطت الكثير من النقص الذي لم تتطرق إليه مختلف المصادر التاريخية والجغرافية من أهمها نذكر:

– **المغرب في عهد الدولة السعدية** لصاحبه **عبد الكريم كريم** فقد أفادنا في التعرف على حالة المغرب الأقصى في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر، كما ساعدنا في التعرف على أهم نتائج حملة المنصور على بلاد السودان الغربي.

– **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة لباري محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم** الذي أفادنا في التعريف بأهم مماليك السودان الغربي.

– **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي لمحمد غربي والتاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء في نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر للدالي الهادي المبروك،** من خلال المادة التاريخية التي وفرها المرجع تمكننا من معرفة أهم الدوافع المحركة للحملة.

– **المغرب عبر التاريخ الجزء الخامس** لصاحبه **إبراهيم حركات** الذي أفادنا في بعض الانعكاسات المترتبة عن الحملة على المغرب الأقصى.

– **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر لجلال يحي** واستطعنا من خلاله التعرف على بعض الدوافع المحركة للحملة والانعكاسات المترتبة عن الحملة على البلدين.

– **تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912م** لصاحبه **يونان لبيب رزوق ومحمد مزيس** الذي أفادنا في معرفة بعض الدوافع الاقتصادية المحركة للحملة وساعدنا كذلك في معرفة خطواته الأولى لتطبيق سياسته التوسعية وهي إستيلائه على توات وتيكورارين.

هذا بالإضافة إلى مجموعة أخرى من المصادر والمراجع أثرت البحث في مختلف محطاته سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

وكأي بحث لا يخلو من الصعوبات فقد واجهتنا أثناء انجازنا لهذا البحث مجموعة من العقبات لعل من أهمها عدم تحصيلنا على مصادر أجنبية كانت ستضفي تنوعا للبحث، ضف إلى ذلك صعوبة التنسيق بين المادة التاريخية خاصة فيما تعلق بالمصدر الموسوم بـ: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى لصاحبه الناصري.

المدخل

نشأة المملكة السعدية

(1509- 1582م)

1)- المملكة السعدية من سنة 1509م وإلى غاية سنة 1582م

عرف المغرب الأقصى مع نهاية القرن الخامس عشر ميلادي وبداية القرن السادس عشر ميلادي ضعف السلطة المركزية خاصة في عهد الوطاسيين[1] الذين آل إليهم الحكم في فاس[2]، هؤلاء عجزوا على توحيد كل المغرب تحت سلطتهم وتوفير الأمن والاستقرار له، كما عجزوا على حماية شواطئه من الغزو الاسباني والبرتغالي[3].

وهذا غدا المغرب مع مطلع القرن السادس عشر ميلادي مجزأ إلى وحدات سياسية صغيرة تحت زعمات قبلية أو دينية أو مجالس محلية متنافسة ومتناحرة مستقلة تماما عن فاس[4] أما من الناحية الاقتصادية فقد تأثرت أوضاع المغرب بحالة التجزئة هذه، مما انعكس سلبا على الحياة الاجتماعية[5].

---

[1] **الوطاسيون**: إدعوا الانتساب إلى إدريس الثاني مؤسس فاس وعلى أساسها يطمحوا إلى تولي السلطة السياسية، وقد أدت الاضطرابات الداخلية التي شهدها المغرب إلى ظهور الأسرة الوطاسية التي تمكنت كل من القضاء على المرنيين سنة 1465م وقد كان أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكريا أول من وضعا أسسها. انظر: الياسري فاهم نعمة: الإسهامات السياسية لمتصوفة المغرب الأقصى في العصر الحديث، مجلة كلية التربية/ واسط، ع12، كلية التربية قسم التاريخ، ص: 164. التيطواني أبي عبد الله محمد الكراسي: عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الوسائل، د ط، د م ط، د س ط.

[2] **فاس** :مكونة من مدينتين بينهما نهر كبير يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة والمدينة الشمالية منها تسمى عودة القرويين، وتسمى الجنوبية .ينظر: الحموي شهاب الدين بن وعبدالله الياقوت معجم البلدان ،ج4، دار الصادر، م ط: بيروت-لبنان،،س ط: 2002م ، ص: 230.

[3] أضحت الشواطئ المغربية عرضة لأطماع البرتغاليين والإسبان، فقد كانت المملكة الوطاسية عاجزة عن صد هذا الخطر عليها. ينظر: شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث- ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب، ط1، م ط: القاهرة، س ط: 1977م، ص: 167.

[4] عمار بن خروف: العلاقات بين الجزائر والمغرب (223-1069هـ/ 1517-1659م)، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ، جامعة دمشق، س:1983م، ص ص:66، 67.

[5] عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، جمعية المؤرخين المغاربة، م ط: الرباط، س ط: 2006م، ص ص: 13-23.

وهذا يمكن القول أن المغرب كان يعيش أزمة خانقة، ما جعل المغاربة يتطلعون إلى سلطة حاكمة قادرة على توحيد شتات المغرب وأجزائه لصد الخطر الخارجي وتحسين أوضاعهم؛ ولم يتحقق لهم ذلك إلا في عهد السعديين[1].

نظرا للأوضاع التي كان يعيشها المغرب الأقصى رأى أعيانه ووجهاؤه ضرورة ايجاد حلول سريعة وفعالة لإنقاذ البلاد[2]، لذلك اجتمعت كلمة القبائل السوسية على الأمير أبي عبد الله القائم وأعلنوا له البيعة[3].

بعد البيعة مباشرة قرر الأمير أبو عبد الله توحيد صفوف المغاربة لصد العدو الخارجي، لذلك ألف مجلسا في منطقة السوس لوضع الأطر العامة والسبل الناجحة؛ وبعد مد وجزر قرر المجلس تكوين جيش، الذي خاض معارك مع البرتغاليين سنة1517م، أحرز خلالها السعديون[4]انتصارات متوالية[5].

من خلال ما تم عرضه من معطيات تاريخية نستنتج أن المبرر الرئيس لمبايعة المغاربة للإمام أبي عبد الله هو الجهاد ضد البرتغاليين وحماية أهل الجنوب ومصالحهم من أخطار أعدائهم.

بعد وفاة الأمير سنة1517 م تولى بعده ابنه أبو العباس أحمد الذي عرف بالأعرج وكان قد بويع بولاية العهد في حياة أبيه فجددت له البيعة بعد وفاته، وقد حقق هذا الحاكم الجديد انتصارات عظيمة على العدوين الاسباني والبرتغالي[6].

---

[1] **السعديون:** يذكر الناصري في أصل نسبهم أنهم من : "**ينبع النخل من أرض الحجاز وأنهم أشراف من ولد محمد النفس الزكية رضي الله عنه**". ينظر: الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار لدول المغرب الأقصى- الدولة السعدية- ج5، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ، د ط، دار الكتاب الدار البيضاء، د م ط، س ط: 1997م ، ص:3.

[2] عمارين خروف، المرجع السابق، ص: 69.

[3] الناصري، المصدر السابق، ص: 12.

[4] للاطلاع على المعالم الجغرافية للملكة المغربية على عهد السعديين، ينظر الملحق رقم: 1.

[5] فؤاد دياب: المغرب الأقصى بين الماضي و الحاضر، د ط، الدار القومية للطباعة والنشر، م ط: القاهرة، د س ط، ص: 31.

[6] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص: 168.

وجد الأعرج في أخيه أبي عبد الله محمد الشيخ[1]خير معين وسند له، فقد كان يستشيره في كل أمور المملكة، ولا يتخذ أي قرار دون الرجوع إليه؛ إلى أن هذا الوضع لم يستمر طويلا، إذ دخل الوشاة فأفسدوا بينهما، وتطورت الأمور إلى حدوث اقتتال بينهما انتهى بمقتل[2] أبي عبد الله محمد الشيخ[3].

بعدها انفرد محمد الشيخ بالحكم وعكف على تنظيم شؤون مملكته، إلى أن سقط قتيلا، فبويع ابنه محمد عبد الله الغالب في فاس، وبقي كذلك إلى غاية وفاته **سنة**1574 م، فبويع ابنه أبو عبد الله المتوكل على الله لكن لم تدم مدة حكمه طويلا، فلقد نجح عمه أبو مروان عبد الملك المعتصم بالله (1576 م – 1578 م) بمساعدة العثمانيين في الاستيلاء على الحكم، وتحقق له ذلك خلال **سنة**1576 م[4].

على عهده حاول ملك البرتغال سيبستيان احتلال بعض الموانئ على الساحل الأطلسي، فأعد حملة ضخمة تألفت حسب ما ذكرته بعض الروايات التاريخية العربية ما بين ثمانين ألف ومائة وعشرين ألف مقاتل من جنسيات مختلفة؛ بينما حددتها بعض المصادر الغربية ما بين **أربع وعشرون ألف و أربعون ألف** مقاتل[5].

التقى الجيش البرتغالي مع الجيش المغربي في موقعة وادي المخازن، لذلك اشتهرت في المصادر والمراجع التاريخية بموقعة واد المخازن، التي انطلقت يوم**04** أوت من سنة**1578**م، انتهت بانتصار القوات المغربية، وسقوط الملوك الثلاثة سيبستيان محمد المتوكل وعبد المالك[6].

---

[1] عينه الأمير أبو عبد الله واليا على منطقة السوس، وبقي كذلك إلى حين تولى الأمر أخوه أبو العباس الأعرج، ينظر: شوقي عطا الله الجمل، ص: 169.

[2] المرجع نفسه، ص ص: 169-171.

[3] **أبو عبد الله محمد الشيخ**: ولد سنة 866هـ لقب بالمهدي كان منذ صغره مولعا بتدبير أمور الرعية حازما في أموره، كان له الفضل في القضاء على الحكم الوطاسي بفاس، قتل سنة 964هـ. ينظر: الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، المصدر السابق، ج5، ص ص: 19- 37.

[4] المرجع السابق، ص ص:173،174.

[5] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص: 96.

[6] المرجع نفسه، ص: 96.

شكلت المعركة نقطة تحول كبرى في تاريخ المغرب، فقد ترتبت عليها عدة نتائج مست الكثير من الجوانب لعل من أهمها نذكر:

_انتقلت المملكة إلى مركز قوة لم تعرفه منذ أمد بعيد[1]. فقد أضحت قوة إقليمية واكتسبت هيبة كبيرة، مما سمح لها بالحصول على غنائم كثيرة ومتنوعة[2].

ـ زوال التهديدات البرتغالية على السواحل المغربية، التي استمرت لسنوات عديدة تشكل خطرا حقيقيا على أمن واستقرار المنطقة.

_ فقد البرتغال هيبته العسكرية خاصة على مستوى حوض البحر الأبيض المتوسط، فقد تسببت هذه المعركة في سقوط العديد من القتلى، إذ حدد الفشتالي عدد القتلى والأسرى بحوالي **ثمانين ألف** رجل[3]، كما تم أسر الكثير منهم.

_ ترتب على مقتل الملك المغربي ظهور خليفة سعدي جديد يعتبر من أقوى الملوك الذين حكموا المملكة قاطبة ألا وهو أحمد المنصور الذهبي الذي هو موضوع الدراسة.

2)- **التعريف بشخصية أحمد المنصور الذهبي**:هو ابن السلطان أبي عبد الله الشيخ والحرة مسعودة بنت الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتي الورززاتي .ولد بمدينة فاس سنة**956**هـ / **1549**م[4].

مرض المنصور في صغره مرضا شديدا حتى يأس من شفائه كل الأطباء، إلى أن رأت أمه في المنام رؤية، حيث تمثل لها رجلا وخاطبها قائلا: «**أزيريه الشيخ أبا ميمونة فإنما أصابته عين** ». اقتنعت الأم بأن ما رأته إنما رؤية صادقة وعليها أن تنفذ وصية الزائر الذي جاءها في المنام .لذلك قررت أخذه إلى الشيخ أبي ميمونة، فتحقق له الشفاء[5].

---

[1] الغربي محمد : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ج1، مؤسسة الفليج الطباعة والنشر، م ط: الكويت، س ط: 1982، ص: 75.

[2] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص: 97.

[3] المرجع نفسه، ص: 97.

[4] الناصري، المصدر السابق، ص: 89.

[5] المصدر نفسه، ص: 89.

نشأ المنصور بين أحضان عائلته، فأخذ العلم على يد العديد من الشيوخ، إلى أن تمت له البيعة بمدينة فاس، فكان من أقوى ملوك المملكة السعدية، وبقي كذلك إلى غاية وفاته يوم **16**من ربيع الأول سنة**1012** هـ**1603** /م [1].

وجه أحمد المنصور أولى جهوده مباشرة بعد مبايعته إلى تنظيم الجيش[2]، متأثرا إلى حد بعيد بنموذج الجيش العثماني الانكشاري[3]في الجزائر وقد ظهرت فعاليته في القضاء على جميع التمردات وتوفير الأمن وإقامة حكم مركزي[4].

فقد كان أحمد المنصور الذهبي وكبار رجال المملكة على معرفة بأمور الدولة الداخلية وأحوال السكان عامة، كما كانوا على اطلاع واسع ودراية بالمستجدات التي طرأت على الساحة الدولية[5].

عرف أحمد المنصور بصرامته وحزمه، إذ كان يحاسب وزراء وكبار موظفيه على عدم الالتزام بأوقات العمل الرسمية والتأخر في الرد على المراسلات الإدارية والسياسية. كما ساهم في استحداث بعض التغييرات في الادارة المغربية، فقد أدخل حروف لرموز خاصة في المراسلات السرية التي كانت تتم بينه وبين مختلف الأطراف الخارجية [6].

---

[1] الزياني أبو القاسم: تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تق: رشيد الزاوية، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، م ط: الرباط، س ط: 2008م، ص: 89.

[2] تألف جيش المنصور من أهل الأندلس الذين هربوا من حكم الإسبان، وقد ذكر الفشتالي في مناهل الصفا حول هذا الموضوع مانصه:" **أنه اصطفى من العجم موالي رباهم بنعمته واشملهم دورا من إحسانه**"؛ وهناك أيضا فرق من جنود الترك ممن دخلوا في خدمة المنصور. انظر: حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج3، ج2-3، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، م ط: بيروت- لبنان، س ط1992: ، ص ص: 192،191.

[3] **الجيش الإنكشاري**: هو جيش متكون من عدة أجناس منهم الأتراك وأبناء النصارى الذين تم اغتنامهم من الحروب التي تمت بين الخلافة العثمانية والدول الاوربية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الجزائر في الفترة العثمانية (1800- 1830م)،د ط، مكتبة أحمد زبانا، م ط: الجزائر، س ط: 1979م، ص: 35.

[4] عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص: 98،97.

[5] شوقي أبو خليل: واد المخازن- معركة الملوك الثلاثة القصر الكبير، ط1، دار الفكر، م ط: دمشق- سوريا، س ط: 1988م، ص: 40.

[6] المرجع نفسه، ص: 40.

وحتى يتمكن أحمد المنصور من إقرار دعائم الطمأنينة بالبلاد وضبط شؤون الإدارة والدولة أولى اهتماما كبيرا بالقوات المسلحة، فزودها بالمعدات الحربية الحديثة، وهكذا كان للمنصور إمكانيات عسكرية قوية مستعدة دوما لتنفيذ أوامره والتدخل في الأوضاع الحرجة[1].

ومن مظاهر تنظيماته أيضا أنه حدد أياما سماها أيام الديوان، يجلس فيها للرعية والوفود ليسمع شكاويهم وانتقاداتهم، وخص بذلك يوم السبت والاثنين والأربعاء[2]. هذا فيما يخص انجازاته على الصعيدين السياسي والإداري؛ أما في يخص مآثره العمرانية فقد شيد مصانع كان لها الفضل الكبير في تطوير المملكة وازدهارها[3].

أما فيما يخص سياسته الخارجية، فقد حاول أن يؤسس للمملكة شخصية دولية لها كلمتها وهيبتها مستغلا في ذلك انتصار الجيش المغربي في معركة واد المخازن، إذ مباشرة بعد هذه الواقعة بدأت الوفود المختلفة من الرسل تصل إلى مراكش مهنئة بالانتصار وحاملة معها الهدايا [4].

حيث أنه ما إن استقر حكم المنصور بالمغرب حتى أرسل إليه السلطان مراد الثالث العثماني وسائر الدول الإسلامية المجاورة للمغرب تهنئة بالانتصار في المعركة، وكان السفير العثماني أقل الجميع نصيبا من الترحيب والود إذ ظل ينتظر المقابلة لوقت طويل، ومن هنا فإن المنصور لم يحسن استقبال الوفد العثماني ولم يرد على رسالة مراد الثالث، فاعتبرها هذا الأخير اهانة لشخصه وللسلطنة العثمانية[5].

عندها قرر السلطان العثماني تجهيز حملة عسكرية على المغرب الأقصى؛ أمام هذه المستجدات الخطيرة لم يكن أمام المنصور سوى ترضية الخلافة العثمانية، فأرسل هدية إلى السلطان العثماني واعتذر عما بدر منه في حق رسوله؛ وبهذا استطاع الوفد إزالة النفور من

---

[1] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص:238-242.

[2] المرجع نفسه، ص 232.

[3] الناصري أبو العباس احمد بن خالد، المصدر السابق، ص190.

[4] الغنيمي مقلد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص ص: 195.

[5] المرجع نفسه، ص:196.

صدر الخليفة فقبل السلطان مراد الثالث اعتذار المنصور وصدرت أوامر السلطان بالرجوع عن حرب المغرب [1].

وهذا استطاع المنصور بفضل حنكته السياسية وحسن تدبيره أن يحافظ على استقرار بلاده، فاتسعت بذلك مجالات اتصالاته الخارجية وأصبح له تبادل دبلوماسي مع أقوى الدول في الشرق والغرب[2].

وبعد استقرار أوضاعه الداخلية والخارجة بدأ في رسم سياسة توسعية أساسها التمركز في مواقع استراتيجية هامة في الصحراء الغربية، التي ستكون بمثابة قواعد ارتكاز في تنفيذ مشروع التوسع سواء في المناطق المجاورة أولا ثم في بلاد السودان ثانيا[3].

وتطبيقا لهذه السياسة عزم على غزو بلاد السودان، ولكنه لم يرد أن يتحمل وحده مسؤولية هذا القرار الخطير، فقد كان يقدر ما سيواجهه الجيش المغربي من أخطار في مثل هذه البلاد التي تفصلها عن المغرب مسافات طويلة وصحاري شاسعة وقفار حيث لا ماء ولا كلأ، فجمع مجلسه الاستشاري وأبلغهم على عزمه بالاستيلاء على بلاد السودان الغربي نظرا لموقعها الجغرافي الممتاز، والثروات الطبيعية التي كانت تزخر بها [4].

---

[1] الغنيمي مقلد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص: 196.

[2] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص: 148.

[3] للاطلاع على المعالم الجغرافية للمنطقة ينظر الفصل الاول من هذه الدراسة.

[4] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص:186.

الفصل الأول

الإطار الجغرافي لبلاد السودان الغربي وعلاقاته مع المغرب الأقصى قبل سنة1591 م.

المبحث الأول: الإطار الجغرافي.

المبحث الثاني: أهم مماليك السودان الغربي.

المبحث الثالث: العلاقات المغربية السودانية قبل سنة1591 م.

المبحث الأول: الإطار الجغرافي:

تقع بلاد السودان الغربي [1]جنوب الصحراء الكبرى وهي منطقة شاسعة تحتل مكانة كبيرة في قلب القارة الإفريقية، وما ساهم في ذلك هو تنوع تضاريسها واختلاف مناخها، وبالتالي تنوع تركيبتها السكانية واختلاف بنيتها الاقتصادية، إضافة إلى كونها منطقة غنية بثرواتها مما جعلها محل أطماع البلدان الأخرى، ومنها المغرب الأقصى الذي قام بحملة عليها . وقبل التطرق لهذه الحملة التي هي موضوع بحثنا لابد من تحديد إقليم السودان الغربي جغرافيا ولا يتسنى لنا ذلك دون التعرف على أصل التسمية.

1)- **أصل التسمية:** أطلق جغرافيو الغرب الإسلامي بعد القرن الرابع الهجري على المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي إلى بحيرة كوري شمال خط الاستواء وجنوب الصحراء اسم بلاد السودان [2]. وعموما ففي عرف الجغرافيين والرحالة تطلق تسمية بلاد السودان على أقاليم السودان الثلاثة وهي:

_**السودان الشرقي:** يضم مناطق النيل وروافده أي جنوب بلاد النوبة.

_**السودان الأوسط:** يشمل المناطق المحيطة ببحيرة التشاد[3].

_**السودان الغربي:** يمتد من ساحل السنغال حتى حدود نيجيريا الشمالية ونقطة ارتكازه هي السنغال وحوض نهر النيجر[4].

---

[1] للاطلاع على خريطة توضيحية لبلاد السودان الغربي، ينظر الملحق رقم: 2.

[2] أحمد شكري: الإسلام و المجتمع السوداني (إمبراطورية مالي 1430/1230)، ط1، المجمع الثقافي، م ط: أبوظبي، س ط: 1999م، ص: 57.

[3] نوقال فريدة: الحركة العلمية لقبائل الفلان ببلاد السودان الغربي خلال ق 13هـ-19م، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس، جامعة ابن خلدون، تيارت، س: 2009-2010، ص: 3.

[4] أحمد طاهر: إفريقيا فصول من الماضي و الحاضر، د ط، دار المعارف، م ط: القاهرة، د س ط، ص: 66.

كما أطلق العرب اسم السودان على تلك الأقوام المتمركزة جنوب الصحراء الكبرى ويرجع أصل هذه التسمية إلى لون البشرة (السواد) التي يمتاز بها سكانها، كما يطلق عليها بعض المؤرخين العرب اسم التكرور وأصبحت هذه الأخيرة مرادفة لكلمة سوداني[1].

هذا عن المؤرخين والرحالة العرب، أما فيما يخص الرحالة الأوروبيين فقد تداول بينهم تسمية " **غرب إفريقيا** " أو " **افريقية الغربية** "أي بلاد السودان الغربي[2]، والمقصود بالسودان الغربي عندهم من الناحية الجغرافية هي تلك المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الأطلنطي شمال خط الاستواء[3].

2)- **الموقع الجغرافي**: لرسم صورة واضحة حول المعالم الجغرافية لبلاد السودان الغربي لابد من تناول مختلف آراء الجغرافيين والمؤرخين حول الموضوع وهذه نماذج منها:

فالقزويني سمى بلاد السودان الغربي " بلاد التبر " هذه الأخيرة تقع في جنوب المغرب، و"هي بلاد كثيرة وأرض واسعة، ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط[4].

أما **المقدسي** فقد حددها جغرافيا بقوله:" **أما أرض السودان فإنها تتاخم هذا الإقليم ومصر من قبل الجنوب، وهي بلدان مقفرة واسعة شاسعة**[5].

في حين حددها **ابن حوقل** بقوله: " **وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلدهم الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف، ليس بينه وبين شيء من الممالك اتصال، غير أن حدا له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات**"[6].

---

[1] أمينة أحمد يحيى: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في ظهور الحركات الجهادية في غرب أفريقا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس ميانة، س: 2014-2015، ص: 27.

[2] نوقال فريدة، المرجع السابق، ص: 3.

[3] إيهاب شعبان عبد الشافي سالم: القضاء في دولتي مالي وصنغي و أثره الحضاري في المجتمع (636-1000هـ/1238-1591م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، س: 2012، ص: 3.

[4] القزويني زكريا بن محمد : آثار البلاد وأخبار البلاد، د ط، دار صادر، م ط: بيروت، د س ط، ص ص: 18 -24.

[5] المقدسي محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، د ط، م ط: ليدن، س ط: 1877، ص: 241.

[6] ابن حوقل ابن القاسم: صورة الأرض، د ط، دار مكتبة الحياة، م ط: بيروت، س ط: 1992، ص ص: 24،25.

أما **الإصطخري** فقد أطر المنطقة جغرافيا خلال الرابع الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي بأنه" **ليس في أي أقاليم السودان من الحبشة والنوبة والبجة وغيرهم إقليم أوسع منه، ويمتدون إلى قرب المحيط مما يلي الجنوب وما يلي الشمال على مغازة بينها وبين أرض الزنج وليس لها اتصال بشيء من المماليك والعمارات إلا من وجه المغرب لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الأمم**"[1].

في حين ذكر **القلقشندي** أن بلاد السودان " **يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ومن الشرق بحر القلزم مما يقابل بلاد اليمن، ومن الشمال براري ما بين برقة و بلاد عرب المقاربة من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط**[2].

وبعد الاطلاع على مختلف آراء المؤرخين والجغرافيين على جغرافية بلاد السودان فيمكننا إجمال هذه الروايات في الإطار التالي:« **السودان قطر من أقطار إفريقيا**[3]**، يقع في غرب إفريقيا**[4]**، تحدها من الشمال الصحراء الكبرى و من الشرق الكامرون وبحيرة التشاد ومن الجنوب خليج غينيا ومن الغرب المحيط الأطلسي**»[5].

---

[1] نوقال فريدة، المرجع السابق، ص: 5.

[2] قداري رضية: دور المدن المغربية في نشر الإسلام في السودان الغربي- تيهرت نموذجا-، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة ابن خلدون، تيارت، س: 2014-2015، ص: 4.

[3] حسين عبد الله: السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، د ط، د م ط، س ط: 2012، ص: 29.

[4] أمينة أحمد يحيى، المرجع السابق، ص: 27.

[5] باري محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة، ط1، م ط: لبنان، س ط: 2007، ص: 19.

وعموما تقسم إفريقيا الغربية إلى جزئين متوازيين رئيسيين هما :

- الجزء الغربي: الذي يتمثل بالسودان الغربي.**westsudan**
- المنطقة الساحلية: أو ساحل غينيا.**costal region**

وكل من هذين القسمين يتميز بجغرافيته وثقافته وتاريخه، فالجزء الأول يتمثل في الممالك الموجودة في غرب السودان وتشمل كل من: بوركينافاس **berkinafaso** ، الرأس الأخضر **cape vert**، غامبيا **gambia**، مالي mali ، النيجر **neiger**، السنغال **Sénégal**، موريتانيا **mauritania**، وعموما يقصد بالسودان الغربي كل البلاد لإقريقية غير العربية التي تقع في الصحراء الكبرى[1].

3)_ **البنية الجغرافية:** بعد عرض بطاقة جغرافية لبلاد السودان الغربي من خلال تتبع مختلف آراء المؤرخين، لنا الآن وقفة مع أهم تضاريس المنطقة ومناخها.

أ)_ **التضاريس:** منطقة السودان الغربي التي نحن بصدد الحديث عنها تتخللها هضاب وجبال منها سلسلة الجبال عبر طريق سيقو جاو، وحجار، واهير (ايراسين) وجبال اورار الشرقية والغربية، وترتفع بعض أماكن الصحراء إلى ستة آلاف قدم فوق سطح البحر وتنخفض أخرى إلى مائة قدم تحت سطح البحر، تنتشر فيها كثبان الرمال والواحات الكبيرة، كما توجد بها الهضاب الصخرية والمسالك الفسيحة وسلاسل الجبال المتقطعة وكذلك الوديان[2].

وتمتد تضاريسها من تشاد إلى الأطلسي وتنقسم من الشمال إلى الجنوب إلى الأقسام التالية:

_**المنطقة الشمالية:** تقع بين الصحراء الكبرى شمالا إلى وادي النيجر الأوسط جنوبا، وهذه المنطقة صحراوية في أغلب مساحتها تتخللها بعض الهضاب والوديان والواحات والعيون.

_**المنطقة الوسط:** تمتد من بحيرة التشاد شرقا حتى منطقة فوتاتورو السنغالية غربا، وترتفع في وسطها هضاب النيجر، وفي هذه المنطقة سهوب واسعة ذات مراع خصبة.

---

[1] باري محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 20.

[2] الدالي الهادي مبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، م ط، القاهرة، س ط: 1999م، ص: 19.

_**المنطقة الجنوبية:** تمثل المنطقة المشرفة على خليج غينيا، وتضم عدة كتل جبلية أهمها فوتاد جالون، تغطي الغابات الاستوائية الكثيفة وتكثر فيها السهول والوديان والأنهار الساحلية [1].

ويدخل في إفريقيا الغربية القسم الأكبر من منطقة الساحل الشبه جافة والتي تقع جنوب الصحراء الكبرى ابتداء من السودان شرقا وحتى المحيط الأطلسي غربا مرورا بالسنغال وموريتانيا ومالي وبوركينافاسو والنيجر وأقصى الشمال الشرق لنيجيريا؛ وتبلغ مساحة الساحل حوالي أربعة مليون كلم^2 [2].

ب)_المناخ: عموما يعتبر مناخ إفريقيا الغربية شبه استوائي، يتميز بارتفاع الحرارة وزيادة كبيرة في الرطوبة[3] وقد أفاد الإدريسي بأن الأمطار قليلة من صحراء نيسر والتي يدخل عليها المسافرون إلى مدينة اودغش وغانة وهي" صحراء قليلة البشر والماء بها قليل وشمسها قاتلة"، والجدير بالملاحظة أنه كلما بعدت المسافة عن الصحراء زاد هطول الأمطار وبذلك تزداد خصوبة التربة [4] .

أما بالنسبة لمصادر المياه فتعتبر كتلة فوتا جالون مصدرا رئيسا للمياه، نظرا لكثرة الأمطار ولطبيعة تركيبتها الجيولوجية التي تسمح بتخزين المياه[5]، حيث يجري في منطقة السودان الغربي نهران نهر النيجر والسنغال وهما يجريان بمحاذاة حافة الصحراء الجنوبية [6].

---

[1] باري محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 21.

[2] المرجع نفسه، ص: 22.

[3] المرجع نفسه، ص 22.

[4] الدالي الهادي مبروك، المرجع السابق، ص: 20.

[5] نوقال فريدة، المرجع السابق، ص: 8.

[6] الدالي الهادي مبروك، المرجع السابق، ص: 20.

وقبل أن نتطرق للتعريف بأهم المماليك في بلاد السودان يجب التعريج إلى توضيح المعالم الجغرافية للمغرب الاقصى بشكل موجز بما أنه يشكل عنصر هام من عناصر البحث.

يقع المغرب في الشمال الغربي للإفريقية، يحده شرقا بلاد الجزائر وغربا المحيط الأطلسي وشمالا بوغاز جبل طارق والبحر الأبيض المتوسط وجنوبا الصحراء الكبرى وتبلغ المساحة التي تشغلها هذه الدولة **820** ألف كلم^2 [1].

حيث تمتد في داخل البلاد سلسلتان من الجبال: سلسلة جبال الريف وهي؛ متوسطة الارتفاع تمتد في شكل قوسي في مدينتي طنجة وميليه، وجبال الاطلس؛ وهي أكثر ارتفاعا من سلسلة الريف، وتختلف مناطق المغرب المناخية بسبب سلاسل الجبال أولا، ثم ثانيا بسبب عامل السواحل في ؛ فمناخه يمثل مناخ البحر البيض المتوسط فنجده معتدلا في الصيف وبارد في الشتاء شديد الرطوبة[2].

المبحث الثاني: أهم مماليك السودان الغربي:

لقد تعاقبت عدة ممالك في السودان الغربي منذ فترة طويلة، فظهرت مملكة غانا القوية والتي أعقبتها مملكة مالي ثم مملكة الصنغاي، هذه الأخيرة استمرت حتى أواخر القرن الخامس عشر وانتهت على يد المغاربة سنة**1591** م.

1)_ **مملكة غانا تاريخيا وجغرافيا:** تمثل غربي إقليم صوصو، تجاور البحر المحيط الغربي وقاعدته مدينة غانا التي قد أضيف إليها[3]، وتعتبر مملكة غانا[4] من أقدم المماليك التي عرفت في غربي إفريقيا وأول إمبراطورية ذات نفوذ إسلامي التي ظهرت في بلاد السودان الغربي خلال العصور الوسطى وتمتد هذه المنطقة من جنوب شرق موريتانيا وغرب مالي وغرب السنغال وشرق غينيا[5].

---

[1] دياب فؤاد، المرجع السابق، ص: 7.

[2] المرجع نفسه، ص ص: 7، 9.

[3] القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج5، دط، دار الكتب العلمية، م ط: القاهرة، س ط: 1915م، ص: 284.

[4] للاطلاع على أهم المعالم الجغرافية للمملكة غانا، ينظر: الملحق رقم: 3.

[5] باري محمد فاضل، المرجع السابق، ص:57 .

كما يذكر **الدمشقي** على أن غانا" اسم علم على كل من يملك هذا السقع[1]"، وكلمة غانا هي عبارة عن لقب كان يطلق على الحاكم هناك ثم أصبح يطلق على مقره ثم توسع فأصبح يطلق على كل البلاد[2].

كما يرى **البكري** الذي زار المنطقة في القرن الخامس الهجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي، أن كلمة غانا هي صفة وسمة لملوكها، ربما لأنها تحمل معنى القيادة العسكرية، ثم اتسع مدلول التسمية ليطلق على العاصمة التي يعيش فيها الملوك[3].

أما مكان العاصمة فلم يكن ثابتا، إذ كان يتغير عبر الأجيال كما اكتشفت أطلال واسعة في أربعة أو خمس أماكن بعيدة تقع في الجهة الغربية من أعالي مصب نهر النيجر[4].

لقد تأسست مملكة غانا في بداية القرن الرابع بعد الميلاد[5] على يد جماعة من البيض [6]على الأغلب، ثم جاءت بعدهم عائلة حاكمة من السود في القرن الثامن؛ ولقد سيطرت هذه المملكة على السودان الغربي بأكمله[7].

وقد حكى ابن سعيد أن لغانا نيلا شبيه بنيل مصر، يصب في البحر المحيط الغربي عند طول عشر درجات ونصف وعرض أربع عشرة وإليها يسير التجار المغاربة من سجلماسة[8] في

---

[1] الدمشقي شمس الدين: نخبة الدهر في عجائب البر و البحر، دط، المطبعة الاكادمية للإمبراطورية المقدسة، د م ط، س ط: 1865م، ص: 240.

[2] دنيس بولم: الحضارات الإفريقية، تر: علي شاهين، د ط، منشورات دار مكتبة الحياة، م ط: لبنان، س ط: 1974م، ص: 48.

[3] باري محمد فاضل، المرجع السابق، ص: 58.

[4] دنيس بولم، المرجع السابق، ص 48،49.

[5] الفيتوري عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء، ط1، دار الكتب الوطنية، م ط: بن غازي، س ط: 1998م، ص: 233.

[6] **البيض:** هاجروا من الشمال الإفريقي و بالتحديد من برقة بليبيا، وترجع هجراتهم الأولى إلى حوالي القرن الأول الميلادي. ينظر: الدالي الهادي مبروك: المرجع السابق، ص: 23.

[7] دنيس بولم: المرجع السابق، ص: 49.

[8] **سجلماسة:** مدينة تاريخية أسسها في أواسط القرن الثاني بنو مدرار الخوارج الصفرية وبقيت مزدهرة العمران إلى أن احتلها الفاطميون وأسسها المهدي الفاطمي دولة الفاطميين قبل انتقاله إلى إفريقيا وفي أواسط القرن الرابع وكانت المدينة نقطة تجارية هامة بين المغرب والسودان. ينظر: العربي بن صديق، المرجع السابق، ص: 228.

بر مقفر ومفاوز عظيمة في جنوب الغرب نحو خمسين يوم فيكون بين غانا ومصبه نحو أربع درج وهي مبنية على ضفتي نيلها[1].

وسقطت هذه المملكة بعد قرن من الزمن على يد المرابطين [2].

2)_ **الاطار الجغرافي والتاريخي لمملكة مالي**: تعد مملكة مالي[3] الإسلامية من أقوى وأغنى الدول الإفريقية التي ظهرت في غربي إفريقيا ومنطقة الساحل خلال الفترة التي سبقت دخول الاستعمار إلى المنطقة[4].

وتمتد هذه المملكة على طول أحد فروع النيجر متاخمة لمملكة غينيا من جهة الشمال والقفر مع جبال وعرة من جهة الجنوب وتحدها غربا غابات مهجورة تمتد إلى المحيط وشرقا إقليم كاغو، ثم عمم اسمها على سائر المملكة التي يسكنها الملك وحاشيته[5].

واستقر في هذه القرية الكثير من الصناع والتجار البارعين، هؤلاء أعاروهم الملك بعناية كبيرة مقارنة بغيرهم، وذلك لما عرفوا به من مهارة كبيرة، وفضلهم على تزويد غينيا وتمبكتو بكثير من المنتجات [6].

---

[1] القلقشندي أبو العباس أحمد، المصدر السابق، ص: 284.

[2] **المرابطون**: قوم كانوا على دين المجوسية إلى أن ظهر فيهم الإسلام؛ وسموا بالمرابطين لأنهم ربطوا أنفسهم وحبسوها عن الشهوات وكانوا يحافظون على الصلوات، وكذلك قيل سماهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن ياسين كل من بالمرابطين لما رأى فيهم من شدة صبرهم وحسن بلائهم على المشركين. ويقال لهم أيضا لمتونة والملثمون وصنهاجة. ينظر: ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد: ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، ج6، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، م ط: بيروت-لبنان، س ط:2000م، ص: 242. والمختاري الطيب بن المختار الغريسي: كتاب القول الأعم في بيان انساب قبائل الحشم ، ط1، المطبعة الخلدونية التلمسانية، د س ط، ص: 329. ومؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، د م ط ، س ط: 1979، ص: 21. وبن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر، ج 1، د ط، دار الغرب الاسلامي، م ط: بيروت – لبنان، س ط: 1990، ص: 42.

[3] للاطلاع على أهم المعالم الجغرافية للمملكة مالي، ينظر: الملحق رقم: 4.

[4] باري محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 75.

[5] الوزان الحسن بن محمد: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، م ط: لبنان، س س ط: 1983م، ص: 164.

[6] المصدر نفسه، ص: 165.

وكلمة مالي تعني" :حيث يقطن الحاكم أو الملك"؛ أما مصطفى مؤمن فيذكر أن كلمة مالي تعني بلغة أهل البلاد" البرنق أو فرس النهر "الذي يرمز في عرفهم إلى القوة والبأس برا وبحرا[1]، و يذهب بعض المؤرخين أن عاصمة مملكة مالي هي مدينة التكرو التي تقع على نهر السنغال[2].

كما اشتهرت مالي باسم بلاد التكرور واشتهر ملكها باسم ملك التكرو أو سلطان التكرو، هذا ما أكده القلقشندي؛ والصواب أن تكرور هي إحدى المدن أو المماليك التي خضعت لسيادة مالي وذلك حسب ما أكده العمري[3].

كما عرفت هذه المنطقة في الحوليات المصرية التي كتبت في ذلك العصر باسم مملكة مالي وباسم بلاد التكرور .وخلاصة القول أن مملكة مالي اشتهرت بأكثر من اسم فهي تارة دواة الماندنغ وأخرى مالي، وتارة أخرى هي مملكة التكرور [4].

وبالرغم من أن مملكة مالي قد امتازت على مملكة غانا بخصوبة أراضيها[5] إلا أن كلتيهما احتكرتا الطرق التجارية التي تصل غرب وجنوب إفريقيا بشرق وشمال القارة ومنها إلى سائر العالم الإسلامي وخاصة خطوط تجارة الذهب التي ازدهرت على ضفاف نهر النيجر[6]. وفي القرن الخامس عشر ميلادي دخلت مالي في مرحلة الانحطاط بسبب ضعف أمرائها وظلم حكامها، ولقد انتقلت السلطة بعد سقوطها إلى قبائل السونجي الذين استقروا في منطقة النيجر الوسطى متخذين من مدينة جاو عاصمة لهم [7].

3) _مملكة الصنغاي تاريخيا وجغرافيا: بدأ ظهور هذه المملكة في القرون الميلادية الأولى، بحيث عاصرت إمبراطورية غانا ومالي؛ وبقيت الصنغاي[1] كذلك إلى غاية عام**1995** م .

---

[1] باري محمد فاضل و كريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص:76 .

[2] مؤلف مجهول: التفاعل الحضاري في إفريقيا، مجلة إفريقيا قارتنا، ع4، س 2013، ص:3.

[3] المرجع نفسه، ص: 3.

[4] المرجع نفسه، ص: 3.

[5] توفرت مملكة مالي على أراضي خصبة كانت تنتج الوفير من الحبوب والقطن كما كانت ترعى فوق مراعيها قطائع من الأغنام. ينظر: مارمول كربخال: إفريقيا، ج3، تر: محمد حجي، د ط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، م ط: الرباط، س ط: 1989، ص:201.

[6] باري محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 76.

[7] دنيس بولم، المرجع السابق، ص: 51.

1995م .ويقسم المؤرخون تاريخ مملكة الصنغاي إلى قسمين :الفترة الوثنية والفترة الإسلامية [2].

وصنغاي اسم إقليم يقع في أواسط النيجر التي صارت واحدة من أكثر البلدان الإفريقية ازدهارا، وكانت جني إحدى مدن الصنغاي من أهم المراكز العلمية في بلاد السودان الغربي التي تأسست في القرن الثالث الهجري .أما غاو فقد كانت عاصمة مملكة الصنغاي؛ وتذكر بعض الروايات التاريخية أنها تأسست في أواسط القرن السادس الهجري[3].

تقع الصنغاي على ثنيه نهر النيجر، امتدت غربا حتى المحيط الأطلسي[4]، وإذا كانت إمبراطورية مالي التي قادت حركة النشاط الإسلامي بها شعب الماندیغ قد قامت على أنقاض إمبراطورية غانا، فإن إمبراطورية الصنغاي قد قامت على أنقاض إمبراطورية مالي التي قادها إلى القوة والازدهار ونشر رسالة الإسلام بها شعب الصنغاي[5].

شهدت منطقة غرب القارة الإفريقية نشوء عدة كيانات سياسية إسلامية قامت كل منها على أكتاف إحدى القبائل القوية التي دعمت نفوذها وبسطت سلطانها لذلك الإقليم الواسع، وبذلك فقد كان لكل منها دور عظيم في نشر الإسلام في إفريقيا ومن هذه الكيانات مملكة الصنغاي، حيث تعد هذه المملكة من أطول الدول عمرا في غرب إفريقيا خلال الفترة التي سبقت الاحتلال الغربي للمنطقة[6].

المبحث الثالث: العلاقات المغربية السودانية قبل سنة1591 م:

---

[1] للاطلاع على أهم المعالم الجغرافية لمملكة الصنغاي ينظر: الملحق رقم: 5.

[2] باري محمد فاضل وكريدية سعيد إبراهيم، المرجع السابق، ص: 110.

[3] مؤلف مجهول: التفاعل الحضاري في افريقيا، المرجع السابق، ص: 3.

[4] الغنيمي عبد الفتاح مقلد، المرجع السابق، ص: 208.

[5] **شعب الصنغاي**: أصله من دندى شمال الداهومي، صعد مع مجرى نهر النيجر حتى وصل إلى منطقة كوكيا الوفيرة بالخيرات فاستقر حولها؛ وبعد أن كانت القبائل الطارئة تأتمر بأوامرا وتسير وراءه في حروبه، طمحت إلى الحكم و السيادة، فخضع لها البربر بنصيحة من التجار المسلمين. ينظر: محمد الغربي، المرجع السابق، ص: 53.

[6] باري محمد فاضل علي، المرجع السابق، ص ص:109،110.

عرفت العلاقات المغربية السودانية تطورا كبيرا وازدهارا على مر العصور وفي شتى المجالات، فلم تقف الحواجز الطبيعية عائقا بين البلدين[1]؛ ونشير بهذا الصدد إلى أن القوافل التجارية التي كانت تمر عبر الصحراء الكبرى كانت تعترضها عدة أخطار، كالرياح والعواصف، حيث شكلت هذه الأخيرة خطرا قاتلا للقوافل التجارية لأنها تحمل ذرات الرمل الدقيقة وتدفع بها إلى كل أجزاء من جسم المسافر، فتكون كالسكاكين الحادة، وإذا تراكمت ذرات الرمال حول الواقف قبرته في عدة دقائق؛ وزيادة على هذه الأخطار الطبيعية التي كانت تعترض القوافل التجارية فكانت أيضا تتعرض لمضايقات قطاع الطرق الذين كانوا ينشطون بكثرة في المنطقة[2].

وعلى الرغم من الحواجز، إلا أنه لم يمنع من وجود تبادل فكري وسياسي وثقافي وديني واقتصادي بين شمال الصحراء وجنوبها، إلا أن هذه الروابط عكر صفوها لفترة من الزمن توتر سياسي، خاصة على عهد السعديين، وذلك بسبب الصراع على المناجم الذهب في السودان الغربي وانتهى بغزو المغرب للسودان الغربي سنة**1591** م[3].

1) _ **العلاقات الاجتماعية:** يخطأ عدد من المؤرخين عندما يربطون الثقل المغاربي في السودان الغربي بفترة السعديين، فالمغاربة كانوا روادا للمنطقة منذ زمن بعيد، يقود إلى ما قبل فترة إمبراطورية غانا الوثنية[4]، إذ بلوغ الخلافة الاسلامية أوج ازدهارها خاصة بعد فتح الأندلس الأندلس تطلع المسلمون إلى نشر الإسلام فيما وراء الصحراء جنوبا؛ وهكذا استطاعت قبيلة لمتونة أن تجمع قبائل الملثمين تحت جناحها وأن تتجه بهم نحو الجنوب بقصد الجهاد والعمل على نشر الإسلام ومما شجعها على ذلك أن مملكة غانا الواقفة في منطقة السودان الغربي

---

[1] قدوري عبد الرحمن: الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 9-10هـ/ 15-16م، دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، د س، ص: 35.

[2] خالد بالعربي: تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، س: 2011، ص:39.

[3] المرجع السابق، ص: 35.

[4] الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص: 194.

كانت في غاية الضعف وكان لهذا التوجه نحو الجنوب أثره البالغ في تدفق المسلمين نحو بلاد السودان الغربي[1].

وتمكن هذا الحلف أن يستولي على مدينة اودغشت [2]ويجعلها قاعدة له للتوجه نحو الجنوب[3]، كما كانت هناك عائلات مغربية قديمة في المنطقة مما يؤكد على عمق التلاحم التاريخي بين المغرب والسودان الغربي وهذه العائلات هي:

- عائلة تغلي، ومن بين أبنائها إمام المسجد الكبير محمد بن الصديق.
- عائلة الخضر، وقد قدم جدهم الأول من مدينة فاس، وكان كاتبا للملك سني علي.
- العائلات التواتية.
- عائلة الجراري، التي استقرت في بلد أوران، ومن أبنائها سيد أحمد بن العزيز الجراري.
- عائلة الفيلالي في أروانوتنبكت وجني وقندام وجاو.
- عائلة البلبالي، التي استقرت في كل من مدينة تنبكتو وكانو وكشنة.
- عائلة محمد الفاسي، نزحت من فاس، واشتغل أبناؤها بالتعليم[4].
- عائلة الديلمي، نزحت هذه العائلة من المغرب، ولقب مؤسسها بالمصلي لكثر صلاته في المسجد[5].
- عائلة الهواري في دييني.

---

[1] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي- التاريخ المعاصر غربي إفريقيا، ط2، المكتب الإسلامي، م ط: بيروت، س ط: 1997، ص: 7.

[2] **اودغشت**: مدينة بين صحراء لمتونة والسودان. ينظر: الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط1 ط2، مكتبة لبنان، م ط: بيروت، س ط: 1984،1975، ص: 63.

[3] المرجع السابق، ص: 7.

[4] الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص ص: 194،195.

[5] عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، د ط، مطبعة بريدن ، م ط: باريس، س ط: 1981، ص: 31.

- عائلة الكبرى، جدها محمد أتى من المغرب لتحصيل العلوم بتنبمكتو وتولى هناك القضاء.
- العائلة العلوية الشريفة، أتى عميدها من تافيلات فجعلته قبائل التوارق إمام عليها وبنوا له مسجدا وكانت عائلته عائلة علم.
- عائلة الزغواني، لم تعرف هذه العائلة بالصلاح ولا بحسن الإسلام.
- عائلة البلبالي من الصحراء الوسطى، استقرت في تنبكتو؛ درس جدها في مراكش وفارس.
- العائلة الفيلالية في تغازي[1].

وقد حدثت مصاهرات بين المغاربة وأهالي السودان الغربي، وارتبطوا معهم برباط الدم، ومن النماذج الدالة على ذلك زواج الشريف الحسني أحمد الصقلي في تنبكت من امرأة عربية من تافلات تدعى زينب، فولدت له مزوار ومحمدا وسلمان ورقية وزينب، فهذه حالة من الحالات التي تدل على عمق الروابط[2].

كما استقرت في منطقة السودان الغربي عدد من القائل المغربية، هذه الأخيرة انتشرت في عدد من المدن والقرى، من أهمها نذكر بكوى وبكين وطوتل ويكرم وبانكند وبدمب، هذه الأخيرة أوعز لها السلطان منصور الذهبي مهمة تزويد الحملة بالمئونة، وخص كل واحد من سكان هذه المدن بنوع من التموين[3]، كما تواصلت الهجرات العربية في نهاية القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السابع عشر الميلادي أثناء غزو السعديين للسودان[4].

أما في زمن مملكة صنغاي فقد استمر الدور نفسه الذي لعبته المغرب، فارتادها العلماء والفقهاء والتجار، وكانت لهم أحياء خاصة بهم في كبرى مدن السودان الغربي، كما كان الحال في كل من تنبكت وجني وجاو، ضف إلى ذلك كله الاتصال الدائم الذي كان بين

---

[1] محمد الغربي، المرجع السابق، ص: 190.

[2] الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص: 195.

[3] المرجع نفسه، ص: 195.

[4] أحمد بوعتروس: الحركات الإصلاحية في أفريقيا جنوب الصحراء أبان القرن الثالث عشر هجري- التاسع عشر ميلادي، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر، م ط: الجزائر، س ط: 2009م، ص: 48.

الساسة وعلماء السودان الغربي بأمثالهم من المغرب الأقصى، يتبعون أخبارهم وما استجد فيها[1].

ويمكننا تقسيم العناصر المغربية التي استقرت بالسودان الغربي إلى ثلاثة فئات هي :فئة العلماء، والتجار، والعامة، وبالرغم من أن دخول التجار سبق العلماء للبلاد السودانية، إلا أن مكانة العلماء كانت أرفع ومقدمة على غيرهم بحكم منزلتهم الدينية والروحية[2].

2)_ **المبادلات التجارية:** يعود تواجد السودانيين في بلاد المغرب العربي إلى فترات بعيدة، حيث كانت العلاقة بين المنطقتين وثيقة جدا، واستمرت كذلك إلى غاية العصور الإسلامية، وازدهرت خصوصا في عصر المرابطين[3]؛ إذ نشطت حركة التجارة بين إفريقيا الغربية وبلاد المغرب بسبب الدور الريادي الذي قامت به قبائل لمتونة ومسوفة وجدالة التي كونت حلقة اتصال ناجحة ومثمرة بين البلدين وأكثرت الأسواق التجارية بالبضائع، حيث كان يتم التبادل بالتقايض أو بالذهب والفضة حسب الاتفاق[4]وعلى هذا الأساس تشكل اتحاد تجاري .ومن أهم المواد التي كانت محل تبادل تجاري نذكر[5]:

أ)_**الذهب:** لقد فرضت كتابة التاريخ الاقتصادي للمغرب منهجية التركيز على أهم الصادرات والواردات التي كانت تتم بين إقليم السودان والمغرب والتي يأتي في مقدمتها الذهب، ونظرا لصعوبة الوصول إلى مناجم الذهب في هذه الفترة حاولت الدراسات الغربية أن تحدد رقما لهذه الكمية التي غادرت السودان الغربي خلال العصور الوسطى[6]، وفي إطار الإشارة إلى المبادلات التجارية بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي لابد لنا أن ننوه إلى أن مادة الذهب كانت في مقدمة الصادرات والواردات؛ وأشارت الإحصائيات التي عرضتها بعض

---

[1] الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص ص: 195،196.

[2] قدوري عبد الرحمن، المرجع السابق، ص:61.

[3] جملة الشهاب أحمد: تاريخ المغرب العربي، د ط، دار الفكر، م ط: عمان، س ط: 2012م، ص:25.

[4] علي محمد الصلابي: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ط3 ، دار المعرفة، م ط: بيروت، س ط: 2009م، ص: 18.

[5] نجيب زيبب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس،ج2، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، م ط: بيروت، س ط: 1999م، ص: 232.

[6] جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 9م إلى 11م، منشورات بلوتو، ط1 ، ، م ط: الجزائر، س ط:2011م، ص: 184.

الدراسات التاريخية إلى وجود تقارب بين إنتاج كل مناجم أفريقيا الغربية في الفترة الممتدة بين القرن السادس عشر والتاسع عشر الميلاديين، حيث أنتجت منطقة بوري حوالي أربعة أطنان سنويا، وجالام خمسة أطنان، أما بورا ولوبي فكانت تنتج حوالي اثنين طن، في حين كان يستخرج من ساحل الذهب حوالي أربعة أطنان[1].

وقد كان للجمل دور في هذه المعاينة، حيث كان المرجع الوحيد الذي ساهم في تحديد ولو بالتقريب كمية الذهب التي كانت تنقل على ظهره، فحمولة الجمل بشكل عام لا تفوق ثلاثة قناطير أي ما يعادل 127.5 كلغ، فالقافلة التي تخرج من المغرب في تعداد يصل إلى اثنتي عشر ألف جمل، بإمكانها أن تفسر هذا الوضع؛ والتاجر الذي يسافر بنحو سبعين إلى مائة جمل لا يتعدى عدد جماله التي ترافقه عند العودة وهي محملة بالذهب ثلاثة جمال، أي ما يعادل **3×127.5** ويساوي **382.5** كلغ[2]. ومن هذا نستنتج أن حمولة الذهب كانت تأتي من السودان الغربي إلى المغرب الأقصى بكميات كبيرة.

ويشير العمري بهذا الصدد في كتابه مسالك الأبصار أن « **إن ملك مالي الذي هو من أعظم ملوك السودان المسلمين وأوسعهم بلادا وأكثرهم عسكرا وأشدهم باسا وأعظمهم مالا، كان سلاحه من ذهب كله :سيف ومزراق وتركاش وقوس ونشاب، ويلبس أبطالهم الفرسان أساور ذهب ومن زادت فروسيته لبس معها أطواق من ذهب، فان زادت لبس معها خلخال ذهب ...الخ** »[3].

وفي هذا النص التاريخي أكبر دليل على غنى بلاد السودان الغربي بمادة الذهب[4] خاصة في الفترة الممتدة من القرن الثالث عشر إلى غاية القرن السادس عشر ميلاديين، فقد

---

[1] جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص ص: 185-187.

[2] المرجع نفسه، ص ص: 187، 188.

[3] العمري شهاب الدين أحمد بن يحي: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،ج4، تح: كامل سليمان الجبوري، د ط، دار الكتب العلمية، م ط: بيروت، س ط: 1971م، ص ص: 52،53.

[4] المصدر نفسه، ص 53.

لعبت المنطقة دورا فعالا في حركة التبادل التجاري[1]، وكانت مدينة كوغة أكثر مدن بلاد السودان إنتاجا وتصديرا لمادة الذهب[2].

ولقد تعددت الطرق والمسالك التجارية عبر الصحراء بين شمال إفريقيا وغربها ووسطها، حيث يرى بوفي أن أهم هذه الطرق هو الطريق الممتد من[3] تغازة[4] إلى تمبكتو[5]؛ وبمرور الزمن أصبحت تمبكتو أهم مدينة في بلاد السودان الغربي اقتصاديا اجتماعيا وثقافيا؛ حيث أسس بها التجار سوقا كبيرا[6].

بالرغم من أهمية تجارة الذهب في بلاد السودان الغربي إلا أنه لا يمكن اعتباره الواسطة الوحيدة التي ربطت العلاقات التجارية بين المغرب الإسلامي وأقطار السودان الغربي، بل رافقته عدة سلع أخرى زادت من أهمية هذا التبادل وجعلته يتسع ليدخل ضمن شبكة التبادل التجاري ومنها[7].

---

[1] ج. ت. نياني: تاريخ إفريقيا العام من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، ج4، د ط، المطبعة الكاثوليكية، م ط: بيروت، س ط: 1988م، ص: 631.

[2] مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، د ط، دار الشؤون الثقافية العامة، م ط: العراق، د س ط، ص: 222.

[3] خالد بالعربي، المرجع السابق، ص: 145.

[4] **تغازى**: «بفتح التاء المثناة والعين، المعجم وألف وزاري مفتوح أيضا»؛ وهي قرية «من عجائبها أن بيوتها ومسجدها بنيت من حجارة الملح ولا شجر بها، وإنما هي رمل فيه معدن الملح». ينظر: ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد عبد المنعم العريان، ر ج: مصطفى القصاص، ج1، ط1، دار أحياء العلوم ، م ط: بيروت– لبنان، س ط: 1987م، ص: 686.

[5] **تمبكتو**: تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف بمنحنى نهر النيجر. ينظر: الدالي الهادي مبروك، المرجع السابق، ص:307.

[6] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، ط خ، دار البصائر البصائر للنشر والتوزيع ، م ط: الجزائر، س ط:2009م، ص: 157.

[7] جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص: 192.

ب)_العبيد: كانت تجارة الرقيق جزءا أساسيا من النظام التجاري لمنطقة غرب إفريقيا إلى غاية السنوات الأولى من القرن التاسع عشر ميلادي[1]، حيث تضاعف عدد العبيد بشكل كبير في بلاد السودان الغربي[2].

وتختلف وضعية عبيد إفريقيا عن الوضعية التي عاشتها هذه العناصر البشرية لدى الشعوب القديمة كالسامية والإغريقية والفرعونية، حيث اعتبرت مظهرا من مظاهر الحياة البشرية التي نتجت عن الحروب والغارات، وبالتالي سيطرة القوي على الضعيف[3].

كما أن الدوافع الاقتصادي والسياسية والاجتماعية لعبت دورا بارزا في ظهور مثل هذه التجارة، إذ أنه بسبب الفقر المدقع اضطرت بعض العائلات إلى بيع أبنائها وبناتها للقبائل المجاورة والبعيدة، لتصبح بذلك تجارة الرقيق ظاهرة افريقية داخلية قبل أن تتوسع وتأخذ طابعا خارجيا وعالميا [4].

حيث أشارت العديد من الدراسات إلى الدور الاقتصادي الذي لعبته هذه العناصر البشرية في الحياة الاقتصادية بذكر المناطق التي استقرت فيها واستغلالها كيد عاملة[5]، حيث يتبين لنا أن الغرض من تجارة العبيد كان لتوفير الخدم، ولقد كانت حركة المتاجرة بالعبيد عبر الصحراء مستمرة من القرن الثامن إلى غاية القرن السادس عشر ميلاديين[6]، خاصة بعدما حركت انجلترا أسطولها لمنع هذه التجارة بعدما صدرت تشريعاتها بهذا الصدد عام**1807** م [7].

---

[1] شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، د ط، م ط: القاهرة، س ط: 1998م، ص: 26.

[2] محمد بن عبد الكريم المغيلي: أسئلة الاسقية أجوبة المغيلي، تح: عبد القادر زبادية، د ط، م ط:الجزائر، س ط:2011، ص: 41.

[3] جميلة بن موسى، المرجع المرجع السابق، ص: 192.

[4] المرجع نفسه، ص: 193.

[5] المرجع نفسه، ص: 193.

[6] ج.ت.نياني ، المرجع السابق، ص ص: 618،619.

[7] عايدة موسى: تجارة العبيد في إفريقيا، د ط، م ط: الجزائر، س ط: 2009 ، ص: 194.

ج)_الملح: شكلت مادة الملح سلعة مهمة وذلك للحاجة الماسة إليه[1]، كونه عنصر أساسي في نمو جسم الإنسان والوقاية من بعض الأمراض[2] وكان يتم تحصيل مادة الملح من خلال حرق النبات التي تكون نسبة الملح بها مرتفعة؛ وقد أشار إلى ذلك العديد من الجغرافيين والمؤرخين ومنهم ابن بطوطة الذي أشار إلى أهمية الملح بقوله:« ...**وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة، ويتقاطعون قطعا ويتبايعون به...**» [3].

وكان يتم استخراج مادة الملح من منطقتين مهمتين هما :أوليل [4]ويذكر الشريف الإدريسي بهذا الصدد:«... **إن جزيرة أوليل فهي في البحر وعلى مقربة من الساحل وبها الملاحة المشهورة ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها ومنها يحمل الملح إلى جميع بلاد السودان...** » [5] وأيضا من منطقة تغازي .وكان يستخرج على شكل صفائح مصفوحة بعضها فوق بعض كأنها قد نحتت نحتا[6].وهكذا اعتبر الملح ضمن التجارة عبر الصحراء وكذلك في المبادرلات التجارية بين المناطق الافريقية أخرى[7].

من خلال ما سبق ذكره يمكن استنتاج أن قيمة مادة الملح استطاعت أن تضاهي قيمة معدن الذهب، لشدة حاجة السكان لها، ولا غرابة في أن يتصارف به أهل السودان كما يتصارفون بالذهب والفضة، ويؤكد على ذلك صاحب كتاب الاستبصار بقول: «...**وببلاد الغروبين يبدل الملح بالذهب لعدمه عندهم** ...» [8]

بعض المنتوجات الأخرى: من بين أهم السلع التي كانت محل تبادل تجاري نذكر مادة العاج، هذه السلعة دخلت في قائمة الأواني المنزلية مثل أواني الشرب، كما كانت

---

[1] قدوري عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 80.

[2] جميلة بن موسى، المرجع السابق ، ص: 197.

[3] قدوري عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 80.

[4] سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي- الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، ج3، د ط، مطبعة أطلس، م ط: القاهرة، س ط: 1990م، ص: 513.

[5] الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، د ط، مطبع بريل، م ط: لندن، س ط: 1863، ص: 10.

[6] سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص:513-515.

[7] ج.ت. نياني، المرجع السابق، ص ص: 616،617.

[8] جميلة بن موسى، المرجع السابق ، ص: 198.

تستخدم لتزيين الخيول والعنبر .ومع مرور الوقت كثر الطلب على هذه المادة في أسواق المغرب؛ وكانت تستخرج من سواحل المحيط الأطلسي[1].

إضافة إلى مادة العاج كان التجار يجلبون الجلود من بلاد السودان خاصة جلود النمور وهي ضرورية في صناعة السروج؛ وقد نالت إعجاب الجاحظ فكتب يقول بهذا الصدد ..."**خير النمور البربري الموشح، وهو يصفها بأنها صغيرة ومقدار الجلد منها ما يغشى سرجا مفردا ومنتهي ثمن الجلد منها خمسون دينارا**»[2].

وفي المقابل وبشكل عام كان السودان يستورد من المغرب النحاس المسبوك وآلات الحديد المصنوع وخرز الزجاج وهو يستعمل كثيرا في هذه البلاد والودع وأساور نحاس وحلق وخواتم نحاس والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر والعطر[3] إضافة إلى هذا كانت تمور سجلماسة تباع في بلاد السودان[4].

إضافة إلى تطور التجارة البعيدة المدى قد ساهم في تطور الفلاحة حيث أصبحت الكثير من المنتوجات الزراعية تحتل مكانا بارزا في قائمة البضائع المتبادلة وقد أدى ارتفاع ثمن بعض هذه المنتوجات إلى العناية بها وتطوير الأساليب الزراعية لإنتاجها مثل زراعة القمح في واحة سجلماسة[5].

---

[1] جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص: 199.

[2] جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، د م ط، د س ط، ص: 229.

[3] حسين محمد نبيلة: تاريخ الحضارة الإسلامية، د ط، دار المعرفة الجامعية، د م ط، س ط: 2007، ص: 28.

[4] الهادي روحي إدريس: الدولة الصنهاجية – تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، م ط: لبنان، س ط: 1992م، ص: 291.

[5] الجنحاني الحبيب: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط2، دار الغرب الإسلامي، م ط: بيروت- لبنان، س ط: 1986م، ص: 112.

3)_ **التواصل الثقافي**: انتشرت في غرب إفريقيا قبل الإسلام الوثنية، بنيت على مسلمات ديانات وضعية خالية من القيم العقلانية[1] وبقيت كذلك إلى غاية انتشار الإسلام، ولقد كان التجار المسلمون خير دعاة للإسلام في المناطق التي وصلوا إليها[2].

وهكذا نجد أن السودان قد أصبحت له حضارة وثقافة إسلامية نتيجة التنقل والهجرات ونتيجة لتبادل المصالح مع الأقاليم المجاورة له؛ فقد أرسل المرابطون العلماء بين قبائل السودان مما ساعد على نشر الحضارة الإسلامية في السودان [3].

فقد أنشأ المرابطون مدينة تمبكتو على نهر النيجر[4]، وكانت المدينة في بادئ الأمر عاصمة تجارية لكن مع مرور الوقت أضحت أيضا حاضرة من حواضر العالم الإسلامي؛ وبذلك حظيت خلال القرن السادس عشر الميلادي بمكانة لم تصل إليها أي مدينة في غرب إفريقيا، إذ أصبحت تضاهي كبريات المدن كفاس ومكناس وتلمسان...الخ[5].

فقد اشتهرت المدينة بكثرة علمائها وفقهائها، كأمثال أحمد بابا التنبكتي[6] والقاضي محمود كعت وعبد الرحمن السعدي[7]، وصارت عاصمة السودان مدينة علمية، حيث انتشرت انتشرت فيها تجارة الكتب، إذ كان العلماء يخرجون لملاقات القوافل التجارية القادمة من الشمال، بحثا عما تحمله من كتب يحملها التجار معهم[8].

---

[1] إبراهيم محمد حسين: تاريخ الإسلام في المغرب العربي، دار التعليم الجامعي، د ط، م ط: الإسكندرية، س ط: 2013م، ص: 154.

[2] جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، د ط، م ط: الإسكندرية، س ط: 1999م، ص: 13.

[3] المرجع نفسه، ص: 14.

[4] المرجع نفسه، ص: 23.

[5] جعفري مبارك بن الصافي: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، د ط، دار السبيل للنشر والتوزيع، م ط: الجزائر، س ط: 2009م، ص: 241.

[6] **أحمد التنبكتي**: ولد في تنبكتو عام 963هـ/ 1556م، نشأ في أسرة من بني اقيت المسوفيين المعروفين بانتسابهم إلى العلم. ينظر: أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الدباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، منشورات دار الكتاب، م ط: طرابلس، س ط: 2000م، ص: 13.

[7] **عبد الرحمن السعدي**: أصله من مدينة جني حيث نشأ وتلقى دراسته الأولى ثم انتقل إلى تمبكتو صغيرا وحضر مجالس كبار علمائها، وتوظف في الإدارة السعدية بتمبكتو ككاتب للبشوات. ينظر: محمد حجي، المرجع السابق، ص: 639.

[8] جعفري مبارك بن الصافي، المرجع السابق، ص: 242.

وهكذا كان للإسلام تأثيره الواضح على الحياة الاجتماعية العامة والخاصة، حيث خفت بوجوده حدة التناحر والصراع بين القبائل والعشائر وأصبحت العلاقات بينهما متأثرة بحضارات الشمال ونظمه ووجود العلماء والفقهاء دليل على استقرار الإسلام وعلى كثرة أعداد المسلمين بالمنطقة، إذ أكدت بعض الروايات التاريخية أن عدد المسلمين في جني عاصمة الماندنجو وصل في القرن الثاني عشر ميلادي حوالي أربعة آلاف مسلم، وإن دل هذا الأمر فإنما يدل على نشاط الدعوة الإسلامية؛ كما أن وجود اثنا عشر مسجدا دليل قاطع على اعتراف السلطة في البلاد بالإسلام كدين رسمي لمجموعة معينة من رعايا[1].

وهكذا تعززت الصلات الثقافية بين البلدين، فكانت لمدن إفريقيا الغربية صلاتها الثقافية العلمية الوثيقة في المراكز العلمية بطرابلس وتونس والجزائر وغدامس وفاس ومراكش، حيث شهدت هذه المراكز العلمية في شمال إفريقيا توافد العديد من طلبة العلم القادمين من بلاد السودان جنوب الصحراء[2] .

وبعض الرحلات العلمية منها كانت ترسل بأمر من سلاطين بلاد السودان، ويروي السعدي بهذا الصدد بأن منسا موسى سلطان مالي كان مهتما بإرسال العديد من البعثات العلمية من بلاده إلى كل من فاس ومراكش لتلقن العلم والفقه[3]، وأخيرا يمكن القول أن هذه الصلات قد تركت أثرا حضاريا عميقا على مجتمع السودان الغربي.

من خلال ما تم عرضه من معطيات تاريخية فيمكننا القول بأن خصائص إقليم السودان الغربي الجغرافية التي تميزت بالانبساط في مظهرها الطبيعي بحيث لا توجد انكسارات عميقة واسعة أو مرتفعات تضاريسية تحجب مناطق بلاد السودان عن بعضها البعض، أتاحت لها نوع من الترابط بين ربوع الإقليم، إضافة إلى تواصل الإقليم مع الكيانات السياسية المماثلة في بلاد المغرب ومصر وبهذا، أصبحت المنطقة تعرف نوعا من التواصل السياسي مع الدول الإسلامية المناظرة لها وهذا بفضل الانبساط الجغرافي الذي دعم مكانة إقليم السودان الغربي.

---

[1] عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص: 251.

[2] زمان عبيد وناس، هاشم ناصر حسين الكعبي: تاريخ علاقات العرب مع إفريقيا جنوب الصحراء، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، م ط: عمان، س ط: 2014م، ص: 151.

[3] المرجع نفسه، ص: 152.

وفي عهد السعديين استمرت العلاقات المغربية السودانية على نفس الوتيرة خلال القرن السادس عشر الميلادي وما من شك أن أهم العلاقات الدبلوماسية التي نسجها السعديون مع بلاد السودان والتي تمثلت في تلك العلاقة التي ربطتهم بمملكة صنغاي في عهد الاسكين **1493م1591**–م وما أحاط بها من صعوبات ومخلفات أدت في نهاية المطاف بأحمد المنصور إلى القيام بحملة عسكرية سنة**1591 م** استهدفت ضم مملكة الصنغاي، هذا ما أدى إلى توثيق وترسيخ التواصل بين السودان الغربي والمملكة السعدية.

الفصل الثاني

سيرورة الحملة (الوقائع والأبعاد)

1582م- 1591 م

المبحث الأول: الدوافع المحركة للحملة.

المبحث الثاني: الإعداد للحملة.

المبحث الثالث: سيرورة الحملة (1589 م- 1591م).

المبحث الرابع: انعكاسات حملة المنصور الذهبي على المغرب الأقصى والسودان الغربي.

المبحث الأول: الدوافع المحركة للحملة:

يمثل عهد أحمد المنصور أحد أزهى العهود في التاريخ المغربي، حيث يعتبر أول من وضع نظاما ثابتا للحكومة المغربية، ونظم جهازها الإداري والعسكري والضريبي، كما قام بإعادة تنظيم الجيش المغربي بصورة تضمن مزيدا من إخلاصه للملكة، فاستكثر من الجنود الأندلسيين والأسرى المسيحيين والمرتزقة من الأتراك والأوروبيين، ولهذا تمكن في نهاية المطاف من تكوين جيش نظامي حديث مكون من فرق متعددة وموحدة الزي.

كما عرفت أوضاع المغرب الداخلية والخارجية نوعا من الاستقرار مما دفعه إلى انتهاج سياسة توسعية، أساسها التمركز في مواقع استراتيجية هامة في الصحراء المغربية التي اشتهرت بواحاتها ومعادنها وبأهميتها في المواصلات، واتخاذها نقاط ارتكاز للتوسع فيما جاورها أولا ثم بلاد السودان ثانيا.

ويمكننا حصر الأسباب التي دفعت المنصور إلى شن حملة على بلاد السودان في عدة عوامل منها سياسية واقتصادية وعسكرية .

أ)_ الدوافع السياسية والعسكرية :فأما فيما يخص الجانب السياسي فتكمن في أن المنصور السعدي كان يعتبر نفسه خليفة ويستمد سلطة الخلافة من نسبه، وشجعه في ذلك سيطرته على منطقة تيكورارين[1] وتوات[2]، مما فتح شهيته على التمادي في توسعاته جنوبا[3].

---

[1] **تيكورارين**: هي منطقة واسعة تقع شمال توات وبعيدة عنها بنحو 120 ميل شرق تسابيت، يحيط بها العرق الغربي من الشمال والشمال الشرقي، أما جنوبا فتحدها هضبة تادميت ومن الشرق الحوض الشرقي لواد الساورة. ينظر: طيب بوجمعة نعيمة: الموقع الجغرافي لإقليم توات، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول الموسوم ب: العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، جامعة أدرار، س ط: 2009، ص: 5.

[2] **توات**: تعتبر توات من أهم المراكز التجارية التي كانت تقوم بتنظيم القوافل التجارية و توفير مواردها، تقع في واحة غنية تتزود فيها التجار بالغذاء و الماء، كما كان يتم فيها تبادل الأدلاء و تغيير الجمال. ينظر: قدوري عبد الرحمن، ص: 68.

[3] إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ من بداية المرينين إلى نهاية السعديين، ج2 ، ط1، الدار البيضاء، د م ط، س ط:1978م، ص: 264.

فعملية توسع أحمد المنصور صوب الجنوب عبر الصحراء وإلى السودان ارتبطت بعدم تمكنه من التوسع شرقا، نظرا لوجود السلطة الجزائرية، وعدم تمكنه من تخليص ما بقي من موانئ المغرب من الاحتلال الإسباني و بالبرتغالي[1].

فلا يمكن مثلا فصل محاولة المنصور الذهبي لضم السودان خلال القرن السادس عشر ميلادي عن الأخطار التي سببها الالتفاف البرتغالي من الغرب والذي كان آنذاك قد بدأ في فرض نفوذه في أرجين والمينا، والتي سببها أيضا التفات العثمانيين إلى أهمية السودان الاستراتيجية وبداية تحركهم تجاه بورنو، لهذا كان على المنصور أن يتحرك قبل أن تعيق تلك الأخطار مشروعه التوسعي[2].

ومن بين الأسباب كذلك التنافس السياسي والاقتصادي ببلاد السودان الذي كان دائرا بين بورنو والكاغ، فقد كان له الأثر الكبير في توجه إدريس الثالث إلى طلب النجدة العسكرية من المنصور، بعد أن فشلت المحاولات التي قام بها من قبل مع السلطان العثماني[3].

فقد كان وصول وفد بورنو إلى فاس واتصاله بالمولى أحمد، بداية تطور هام في التاريخ المغربي الحديث، ذلك أن اطلاع المنصور على أحوال بلاد السودان عامة وبورنو خاصة، قوى من إرادته على الشروع في تنفيذ سياسته التوسعية، فقد حمل الوفد إلى المنصور خطاب إدريس الثالث المتضمن طلب النجدة والمساعدة بالعساكر والأجناد والعدة من البنادق ومدافع النار لمجاهدة من يليهم فيما زعموا بقاصبة السودان من الكنار[4].

وما من شك أن التنافس السياسي على بلاد السودان بين بورنو وكاغ قد كان له الأثر الكبير في توجه إدريس الثالث إلى طلب هذه النجدة العسكرية من المنصور، بعد أن فشلت المحاولات التي قام بها من قبل مع السلطان العثماني مراد، وكان هذا الرسول قد وفد قبل هذا

---

[1] جلال يحي: المغرب الكبير – العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، ج3، د ط، دار النهضة العربية، د م ط، س ط: 1981، ص: 41.

[2] يونان لبيب رزق و محمد مزيس: تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912م، د ط، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د م ط، س ط: 1982، ص: 26.

[3] يحي بوعزيز :المرجع السابق :ص121.

[4] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص: 148.

على العثمانيين بإسطنبول يطلب منهم المدد[1]، وقد نظر كل من المغرب ومصر إلى بلاد السودان بشقيها الغربي والشرقي باعتبارهما مصدرا مهما لتزويدهما بالجنود [2].

شكل وصول وفد بورنو إلى فاس واتصاله بالمولى أحمد، بداية لظهور تطورات هامة في التاريخ المغربي الحديث، لأن اطلاع المنصور على أحوال بلاد السودان بصورة عامة ومنطقة بورنو على وجه الخصوص، قوى من عزيمة المنصور قبل مجيئ هذا الرسول على تجهيز حملة يومئذ على بلاد توات وتيكورارين أملا في أن يجعلها بداية لعملية توسع كبيرة في أقطار السودان والاستيلاء على ممالكهم [3].

كما ساهمت بعض العوامل الأخرى على تحفيز المنصور لتنفيذ خططه التوسعية، من أهمها إحاطته بظروف كانت جد مساعدة، حيث نهض بالدولة حتى استفحلت لعهده بما تراكم فيها من الجند وتوفر من الحامية، لذلك اشترط على إدريس الثالث كأساس لمساعدته إعلان بيعة للخلافة السعدية، ورغم قبول الملك برنو الدخول في الطاعة فإنه لم ينجده بالأسلحة النارية، وإنما التجأ إلى سياسة المماطلة، باتخاذ الأعذار المختلفة ولا شك في أن المنصور سيجد من طاعة الملك بورنو عاملا مساعدا للتحرك في سياسته التوسعية [4].

وبعد انضمام كانم بورنو للمغرب عن طريق البيعة عام **1582** م طمع المنصورة مباشرة لإجبار مناطق سودانية أخرى إلى البيعة له، أما وإرسال الحملات فقد جاءت متأخرة، واعتبر قضية الخلافة عطاء مناسبا للتحرر السوداني وبيعته للمنصور وحصوله على الطاعة يمكن له السيطرة في كل الأمور ولذلك نبه الأسكيا و كل المتصلين به المنتفذين في البلاد أن الله وحده الذي يفرض على الأسكيا أن يبدي السمع و الطاعة و ينخرط بواسطة البيعة في سلك الجماعة [5].

---

[1] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص: 149.

[2] يونان لبيب رزق و محمد مزيس، المرجع السابق، ص: 26.

[3] المرجع السابق، ص: 149.

[4] محمد السيد و محمد أبو رحاب، العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين- دراسة أثرية معمارية، ط1، د م ط، س ط: 2008، دار القاهرة، ص: 149.

[5] محمد الغربي، المرجع السابق، ص ص: 113-116.

ومما شجع المنصور على تحريك مشروعه التوسعي هو امتلاكه لجيش قوي وأسلحة نارية فتاكة، خلاف ما كان عليه الحال بالنسبة للدولة المغربية السابقة التي لم تخرج عن عساكر الخيل والفرسان الرامحة و عصائب الرمات الناشبة، وكذا غنى السودان و ضخامة مواردها وإمكانية الوصول إليها لما يتوفر عليه المغرب العربي من أقاليم صحراوية كتوات وتيكورارين وبلاد الطوارق الساحلية وجميعها تعتبر منافذ هامة بلاد السودان[1].

ب)_ الأسباب الاقتصادية :كانت موارد المغرب الأقصى أدنى من أن تتسع لسد حاجيات المملكة من نفقات عسكرية وبناء منشآت عمراني، بالمقابل كان معروفا عن السودان أنها تتوفر على معدن الذهب التي طمع المنصور في استغلالها[2].

كما أن صادرات السودان كانت مهمة في ذلك الوقت، مما جعل المغرب يطمع في السيطرة عليها، بدلا من تركها تقع في أيدي الأوروبيين الذين كانوا قد بدأوا في احتلال بعض النقاط الساحلية في غرب إفريقيا، فقد كانت هذه الفترة هي فترة البحث عن الذهب[3].

بالإضافة إلى ذلك كان هناك ريش النعام والانبوس، وكانت أوروبا هي الأخرى مهتمة بها بشكل كبير، حتى العبيد كانوا يهمون المغرب كما كانوا يهمون المستعمر الاسباني الذي ظهرت حاجته إلى الأيدي العاملة الإفريقية لاستخدامها في أمريكا اللاتينية وجزر البحر الكاربي[4].

كما زاد من رغبة المنصور في التوسع هو تطلعه للاستفادة من خيرات السودان، فقد لفتت المناطق الواقعة جنوب الصحراء نظر السلطان، وقد كانت تلك الخيرات على أشكال متعددة : الذهب، الملح، العبيد، العاج و البيشر و النحاس[5].

ومن المعادن المهمة معدن النحاس، الذي كان يستخرج من تكدا، ويباع قصبانا غليظة، ورقيقة، فالرقيقة يشتري بها أهالي تكدا القمح والسمن والذرة، والغليظة يشترون بها

---

[1] جلال يحي، تاريخ إفريقيا، (المرجع السابق)، ص ص:148،149

[2] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص: 298.

[3] جلال يحي، تاريخ إفريقيا، (المرجع السابق)، ص: 118.

[4] جلال يحيي، المغرب الكبير، (المرجع السابق)، ص: 42.

[5] محمد غربي، المرجع السابق، ص:117،118.

الخدم والعبيد، ويوزع النحاس من تكدا إلى باقي مناطق المملكة، حيث يستفاد منه في صناعة بعض أدوات البيت[1] كما كان الملح يستبدل مقايضة بالذهب أو مقابل الودع وأنياب العاج، فقد كانت تأخذ المدن السودانية عن كل حمل منه مكوسا عند الدخول أو الخروج منها[2].

وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت تصدر غانا بيض النعام الذي كان يستعمل في تركيب الأدوية، كما كان يوضع فوق المناضد، أو يعلق على حيطان القاعات للزينة، لأجل كل هذه الاستعمالات حظى بيض النعام بعناية كبيرة من قبل تجارة بلاد المغرب، وقد حملوا منه ما تيسر لهم حمله، حيث كانت أثمانه في الأسواق الخارجية مرتفعة[3].

كما اشتد طلب الطبقات العليا في المجتمع المغربي على ريش النعام، بعد أن باتوا يتخذون منه مراوح للتهوية وللزينة في البيوت والقاعات، لذا عمل تجار الشمال الإفريقي على تهيئة وجمع ما تيسر لهم منه أثناء عودتهم من بلاد السودان[4].

كانت هذه جملة من العوامل والأسباب التي دفعت بالمنصور إلى تنفيذ سياسته التوسعية نحو بلاد السودان الغربي، وعلى هذا الأساس جهز حملة ضخمة وفر لها كل الوسائل والسبل لتحقق الأهداف المسطرة.

---

[1] الدالي الهادي المبروك، المرجع السابق، ص ص: 77،78.

[2] المرجع السابق، ص: 118.

[3] أحمد محمد الجهيمي: العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس هجريا والتاسع والحادي عشر ميلاديين، كلية الآداب والعلوم جامعة عمر مختار فرع درنة، ص: 11.

[4] المرجع نفسه، ص:12.

المبحث الثاني: الإعداد للحملة:

لقد اجتمعت مجموعة من الأسباب لتحرك مشروع غزو بلاد السودان الغربي، وكان بقي أمام أحمد المنصور الذهبي سوى الاعداد للحملة[1]، لأن مشروع بهذا الحجم يحتاج إلى تخطيط وتدبير، وقيادة حكيمة، والأهم من كل ذلك وذاك جيش قوي ومنظم ومخلص.

1)_ **استشارة المنصور لمجلسه حول مشروع الحملة:** لم يرد المنصور تحمل مسؤولية اتخاذ قرار الحملة لوحده، فرأى من الضروري استشارة مجلسه، إذ يقول الفشتالي بهذا الصدد:

« ...**لما رجعت أرسل المنصور إليه من عند إسحاق أسكية، وأعلموه بما قال سكية وامتناعه واحتجاجه بأنه أمير الناحية والمنصور أمير ناحية وأنه لا تجب عليه طاعته، شاور المنصور أصحابه، وجمع أعيان دولته وانتقى أهل الرأي والمشورة، فاجتمعوا وكان يوم اجتماعهم يوما مشهودا و قال لهم المنصور :أني عزمت على منازلة أمير كاغـــو و صاحب السودان...**» [2].

لقد لقي مشروع أحمد المنصور معارضة صريحة من قبل علماء مجلسه ومستشاريه، بل أنهم قالوا له بصريح العبارة، وفقا لرواية الأفراني:

«**إن هذه الفكرة لا تخطر ببال السوقة فكيف بالملوك؟ وقد قرنو معارضتهم بأسباب المعارضة فبين المغرب و بلاد السودان صحراء واسعة موحشة تفتقر إلى الماء و المراعي و من هنا يصعب اجتيازها، كذلك عدم التفكير أي من الدول السابقة التي حكمت المغرب رغم قواتها كالمرابطين و الموحدين و المرنيين في القيام بمثل هذه المخاطر، و ما ذلك إلا لما رأوه من صعوبة مسالكها**» [3].

---

[1] للاطلاع على خط سير الحملة، ينظرالملحق رقم: 6.

[2] محمد الصغير الأفراني، المصدر لسابق، ص: 163.

[3] يونان لبيب رزق و محمد مزيس، المرجع السابق، ص ص:100،101.

لكن المنصور رد عليهم بقوله:

«**أن كان هذا غاية ما استضعفتم به أمري، وقابلتم به رأي، فليس فيه حجة ولا ما يخدش فيما عندي، أما قولكم بيننا و بينها صحاري مخيفة من جدبها وعطشها، فنحن نرى التجار على حالة ضعفهم وقلة استعدادهم يشقون تلك الطرق في كل وقت، ويخوضون في أحشائها ومشاتا وركبانا ومثنى وفرادى، وقط لم تنقطع ركاب التجار عنها، وأنا أقوى أهبة منهم، وللجيش همة ليست للقوافل، وأما قولكم أن من كان قبلنا من الدول الطنانة لم تطمح أبصارهم لذلك**»[1].

ولإقناعهم أكثر قال:

«**اعلموا إن المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الأندلس ومقاتلة الإفرنج ومن بذلك الساحل من الأمم والاروام، والموحدون اقتفوا سبيلهم في ذلك، وزاد وبحرب ابن غانية، والمرينيون كانت غالب وقاعهم مع بني عبد الواد بتلمسان، ونحن اليوم قد انسد عنا باب الأندلس باستلاء العدو الكافر، ثم ان أهل تلك الدول لو أرادوا ما أردنا لصعب عليهم إدراكه، لان جيوشهم فرسان رامحة ورماتهم ناشبة، ولم يكن عندهم هذا البارود وعساكر النار المرهبة بالصواعق، وأهل السودان لم يكن عندهم إلا الرماح والسيوف، وهي لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة، فمقاتلتهم سهلة وحربهم أسهل من كل شيء**[2].

بعد الرد الذي أطلعه المنصور على مستشاريه لم يبقى أمامهم سوى الامتثال لرأيه محتجين بقولهم هذا: « **ألهمت الصواب و لم يبقى لأحد ما يقول وصدق من قال، عقول الملوك ملوك العقول**»[3] وبهذا استطاع المنصور اقناع مستشاريه بتبني مشروع الحملة، وبذلك استطاع أن يصبغ مشروعه بالشرعية، ذلك أنه إن علمت الرعية بترحيب العلماء والفقهاء وكبار شخصيات البلد بمثل هذا الأمر فسوف ترضخ وترحب به، وبهذا لم يبقى أمام المنصور سوى التجهيز للحملة مركزا على قوته وعلى ما كان يملكه من جيش وأسلحة [4].

---

[1] محمد الصغير الافراني، المصدر السابق، ص: 163.

[2] المصدر نفسه، ص: 164.

[3] يونان لبيب رزق و محمد مزيس، المرجع السابق، ص: 101.

[4] محمد الصغير الأفراني، المصدر السابق، ص: 165.

ب)_ تجهيز الجيش :تميز عصر المنصور بسيادة النظام والحزم في كل ما خص شؤون المملكة والرعية؛ كما اهتم بشكل خاص بالجيش، الذي كان يتشكل من فرق متعددة منها فرقة السوس، فرقة الشرق، الإصباحية الأندلسيين، وكانت تتألف كل فرقة من هذه الفرق من فصائل، ولكل فرقة قائد ولباس خاص بها.

ولقد شكلت الفرقة الأندلسية عنصرا مهما في جيش المنصور، بالرغم من أن سياسة هذا الأخير تجاه الجالية الأندلسية تميزت بصفة عامة بالاهتمام المشوب بالحذر، فقد واجه هؤلاء وهو في أوائل حكمه، فكان حسمه في الأمر في مستوى ما تتطلبه المرحلة، لكنه من جهة أخرى لم يفتأ يدافع عن القضية الأندلسية في « المحافل الدولية»،ويبحث عن حلفاء له لتنفيذ مخططه في تقديم المساعدة للمورسكيين[1] داخل اسبانيا نفسها، وتسهيل سبل الانتقال الى المغرب الأقصى فتح مجالات واسعة لهم[2].

بل تعدى أمر ذلك إلى تقديم المساعدة للجالية الأندلسية خارج المغرب فقد قدم مساعدات كبيرة لأبي الغيث غالب بنو القشاش، حامي الجالية الأندلسية بتونس، فقد ذكر ابن القاضي بهذا الصدد أنه: « **استخلص أسيرا من أهل البيت شريفا أيضا فلما بلغ بلده قال هذا الشريف والله ولا يخلص إلا بالذهب الشريف يعني من سكة سادتنا الشرفاء الذين عمدتهم مخدومنا أبو العباس المنصور وكان عدد المال ينيف على ثلاثة آلاف أوقية...**»[3].

أي بمعنى آخر فإن المنصور كان يقدم كافة المساعدات لأفراد هذه الجالية ما دامت تعمل تحت سلطته وتخلص له، وما دامت تحترم التزاماتها بالكف عن التعامل مع أعدائه

---

[1] **المورسكيين**:" يقابله" مسلمو إسبانيا": هي مجموعة بشرية عاشت تحت وطأة اضطهاد السلطات الاسبانية، ينظر: دوبالي خديجة: الفكر الديني عند المورسكيين الأندلسيين خلال القرنين 16-17 ميلاديين من خلال المخطوطات الألخميادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، س: 2013- 2014، ص ص: 27،28.

[2] محمد رزوق، الأندلسيين وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17، إفريقيا شرق، ط 3، د م ط، س ط: 1992، ص: 178.

[3] محمد رزوق، المرجع السابق، ص:186.

التقليدين خاصة العثمانيين[1]، الذين كان يرى فيهم العدو الذي يجب التخلص منه بكل الوسائل والسبل.

رغم سياسة الحذر التي اتبعها المنصور تجاه جاليته الأندلسية إلا أنه فتح لها باب الارتقاء في مختلف المناصب الحساسة في الدولة من جيش وإدارة وغير ذلك ،حيث نلاحظ حضورهم بقوة في الجيش المغربي[2].

فقد صرح المنصور في المجلس الاستشاري الذي عقده لهذا الغرض، أن الهدف من تجنيدهم في الجيش المغربي والاستعانة بهم هو«...**الاستكثار من الأسطول لغزو عدو الدين و الاجلاب عليه بحول الله و عزته في عقر داره** ...[3].

كما أكد في المجلس نفسه على أنه سوف يعتمد على" عساكر الأندلس" [4] لأنها " عساكر قاذفة بشواط الناس "وفعلا فقد شاركت الجالية الأندلسية بالمغرب بنصيب كبير في العملية العسكرية التي استهدفت السودان، بل إن قيادة الجيش نفسها أسندت إلى قائد أندلسي [5] اسمه جودار باشا [6] judarpasha في سنة **1589** م .هذا بالإضافة إلى عدد من القادة الأندلسيين نذكر من بينهم :محمد بن زرقون، أحمد الحروسي الأندلسي وقاسم وردي الأندلسي[7].

غير أن الحذر ظل هو الطابع المميز لعلاقة المنصور مع الأندلسيين، إذ لم يكن المنصور يطمئن كثيرا إلى هؤلاء، خاصة أن رغبتهم في السيطرة مازالت قائمة وبعض تصرفات هذا

---

[1] محمد رزوق، المرجع السابق، ص: 186.

[2] المرجع نفسه، ص ص: 43-186.

[3] يونان لبيب رزق ومحمد موزيس، المرجع السابق، ص: 186.

[4] **الأندلس**: جزيرة متصلة ببحر أقياسي اسمها في القديم ابارية، ثم سميت باطقة، وعرفت بعدها باشابانيا، ثم سميت بالأندلس. ينظر: محمد بن علي بن الشباط التوزري، وصف الأندلس(قطعة من كتاب صلة الصمط وسمة المرط)، تح: أحمد مختار العابدي،ط1، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، م ط: مدريد، س ط: 1971، ص:100.

[5] محمد رزوق، المرجع السابق، ص: 186.

[6] **جودار باشا**: هو أندلسي الأصل تربى في القصر الملكي في مراكش وكانت له خبرة في القيادة العسكرية، ينظر: الغنيمي مقلد عبد الفتاح ، المرجع السابق، ص: 617.

[7] جوان جوزيف ، الإسلام في ممالك والإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر مختاري السويفي، ط1، دار الكتب الإسلامية، م م ط: القاهرة –بيروت، س ط: 1984، ص: 86.

الجند الأندلسي وقادته لم تكن تنسجم تماما مع الأهداف التي خطها المنصور اذ يذكر عبد الرحمن السعدي بهذا الصدد: «...**ثم أن السلطان أحمد بعث القائد منصور ابن عبد الرحمن إلى أرض السودان برسم القبض محمود زرقون وقتله واهانته...**»، مما جعل المنصور يستبدل الحاميات الأندلسية بحاميات مغربية غير مشكوك فيها [1].

المبحث الثالث: سيرورة الحملة (1589 م- 1591م):

بعدما استشار المنصور العلماء وكبار الشخصيات وأخذ الترخيص منهم، وبعدما أعد العدة والجيش الذي سيقوم عليه نجاح المشروع أو فشله وتجهيزه بالسلاح والذخيرة، ما بقي أمامه سوى اعلان انطلاق الحملة كما سطر لها في مخططه التوسعي.

1)_**استيلاء أحمد المنصور على توات و تيكورارين:** بدأ المنصور نشاطه في الجنوب باحتلال إقليم توات وتيكورارين[2]، فقد كانت أولى خطواته لتطبيق سياسته التوسعية هي استيلائه على هذين الإقليمين الواقعيين في الأراضي الصحراوية الجزائرية، وقد قرر المنصور الاستيلاء على توات وتيكورارين شعورا منه بالدور المهم الذي ستقوم به هاتان المنطقتان لتحقيق أطماعه التوسعية في بلاد السودان، كما أن احتلاله لهاتين المنطقتين سوف يمكنه من قطع الطريق على العثمانيين بالجزائر إذ ما فكروا في التوجه نحو بلاد السودان وغربي إفريقيا بوجه خاص [3].

خرجت حملة عسكرية لاحتلال توات عام**991 هـ- 1583م** من فاس، بقيادة أبي عبد الله محمد بن بركة، إذ اعتبر السعديون منطقة توات مركزا من المراكز التجارية الهامة فموقعها كواحة وسط الصحراء جعلها حلقة وصل بين الشمال الإفريقي حيث عملت على تزويد التجار بما يلزمهم من غذاء وماء وغالبا ما كان يقوم تجار السودان وتجار الشمال الإفريقي بعرض بضائعهم بها[4].

---

[1] محمد رزوق، المرجع السابق، ص ص : 185- 186.

[2] سعدو التالية، علاقة إقليم توات بمراكش على عهد المنصور الذهبي986-1012هـ/ 1578-1603م، الملتقى الوطني الأول حول العلاقات الحضارية (المرجع السابق)، ص: 151.

[3] يونان لبيب رزق ومحمد موزيس، المرجع السابق، ص:96،97.

[4] سعدو التالية، المرجع السابق، ص:151.

كما خرجت حملة ثانية بقيادة أبي العباس أحمد بن حداد العمري المعقلي من مراكش في السنة نفسها لاحتلال تيكورارين، وبعد أن التقت القوات بسجلماسة قصدت تميمون قاعدة قصور تيكورارين وفرضت عليها حصارا بعد أن رفض سكانها إعلان الطاعة والولاء للمنصور[1]، إذ يقول الحسن الوزان بهذا الصدد:

«منطقة مأهولة في صحراء نوميديا بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلا عن شرق تسبت حيث يوجد ما يقرب عن خمسين قصرا وأكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل، وسكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم إعتادوا الذهاب كثيرا بسلعهم إلى بلاد السودان، وهناك مجمع القوافل لأن تجار بلاد البربر ينتظرون تجارة بلاد السودان ثم يذهبون جميعا[2] وبعد معارك حربية طاحنة تم الاستيلاء عليها بفضل الأسلحة النارية الفتاكة التي تتوفر عليها القوات المغربية فانقاد بانقياد تنميمون سائر القطر تيكورارين وأتو طاعتهم راهبين»[3].

وبعد تيكورارين قصدت القوات المغربية تمنطيط[4] قاعدة قصور توات فأسرع رئيسها الشيخ عمر ابن محمد ابن عبد الرحمن إلى إعلان الطاعة للمنصور، إذ علم أنه لا طاقة له بمقاومة الحصار، فكان استنزال عمر رئيس البلاد وزعيمها مفتاحا لانقياد وسائلها [5].

بما أن المنصور كان يشجع التجارة والتجار فحملته على بلاد توات وتيكورارين كما يبدو من النصوص التاريخية كان هدفها الحقيقي الوصول إلى الأراضي التي يصل إليها التبر القادم مع التجار من بلاد السودان الغربي لأنها تمثل معبرا إليه [6].وهكذا حقق المنصور الخطوة

---

[1] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص: 150.

[2] المرجع السابق، ص: 152.

[3] عبد الكريم، المرجع السابق، ص: 151.

[4] **تمنطيط**: تقع جنوب شرق سبخة تيمي و تبعد عنها بحوالي إثنا عشر كيلو مترا و هي من مدن توات التي اجتمع فيها العلم و الإمارة و الريئاسة . ينظر: طيب بو جمعة نعيمة، المرجع السابق، ص: 13.

[5] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص: 151.

[6] سعدود التالية، المرجع السابق، ص: 152.

الخطوة الأولى من سياسته التوسعية واعتبر هذا النصر بمثابة عامل مشجع على التمادي في طريق التوسع[1].

2)_ **اخضاع منطقة كاغو**(**991 هـ- 1583م**)جاءت الخطوة الثانية عقب وفاة الملك السوداني أسكيا داود في رجب من سنة **990** هـ الموافق لسنة **1582** م، الذي كانت تربطه بالمنصور روابط حسنة، فقد سبق للمنصور أن بعث إليه يطلب منه التنازل له عن خراج معدن تيغازى، لكن أسكيا داود أرسل له بالمقايل عشرة آلاف ذهبا هدية وعطية خيل، فكان ذلك سببا في حصول المحبة بينهما [2].

أرسل المنصور وفدا إلى كاغو سنة**991 هـ- 1583م** لتقديم التعازي في الملك الراحل ولتهنئة الملك الجديد، والتعرف على سكية الحاج محمد وموقفه من قضية معادن الملح تيغازى، وسبل ضمها إلى المغرب[3].

فقد حاولت سلطات المغرب القيام بهذا الأمر في سنة **1557** م، إذ رأى المنصور: « **أن المعدن لبيت المال** وأن **إباحة ملحه بغير قيمة فيه تضيع لمال المسلمين وحقوقهم فيه** » وكرر المنصور الأمر نفسه مع الحاكم الجديد، فبعث له وفد يحمل هدية ورسالة إلى سكية بيكاغو يتزعمه الشيخ مومن بن موسى العمري المعقلي الذي امتاز بالفصاحة وطلاقة اللسان؛ وخاطبه في الرسالة في شأن معدن الملاحة الكائن بتيغازي و"**قدر له فيها ما اقتضاه سديد النظر الكريم من فرض مثقال للحمل على كله ما ينتابه من القوافل**[4]."

ج)_ **محاولة احتلال صنغاي:** لم يكن المنصور وحده الذي كان يسعى إلى التوسع في بلاد السودان الغربي فقد سبقه قبل ذلك أحمد الأعرج وذلك في أواخر النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي، وبالضبط في عام **1546**م إذ طلب السلطان السعدي أحمد الأعرج من الأسقيا إسحاق الأول أن يتنازل له عن مناجم ملح تغازى، فاندهش لهذا الطلب

[1] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص: 151.

[2] يونان لبيب رزق ومحمد مزيس، المرجع السابق، ص ص: 98،97.

[3] المرجع السابق، ص: 151.

[4] المرجع نفسه، ص: 151.

الغريب، ورفضه رفضا قاطعا وأجابه بقوله « **لست إسحاق الذي يلبي هذا الطلب، وعليك أن تنتظر حتى يولد إسحاق آخر غيري**»[1].

وفي سنة **1555 م** أرسل السلطان محمد الشيخ حملة إلى تيغزا، فقتلت مأمور الضرائب، فأشار المشرفون على العمل في مناجم الملح على السلطان الصنغاي أن يخليها وينقل العمل والعمال إلى مناجم أخرى نحو الجنوب؛ فأخذ برأيهم وبدأ بالعمل في مناجم أخرى بين تيغازى وتاوديني، عرف باسم تيغازى الغزلان[2].

وتكررت محاولات احتلال المنطقة من طرف المغاربة، فق أرسل أحمد المنصور عام **1586م** حملة عسكرية تألفت من مائتي فارس إلى تيغازى لاحتلالها وسبي أهلها، لكن خبر الحملة وصل مسبقا إلى السكان، فغادروا الموقع وورش العمل في المنجم، وأخلوا المنطقة وفوتوا الفرصة على المغاربة الذين لم يجدوا ما ينهبوه، ولا أي مبرر للبقاء فانسحبوا وعاد العمال إلى عملهم بالمنجم، وعاد السكان إلى تيغازى التي استعادت نشاطها الاقتصادي[3].

د)_ استكمال مشروع الحملة :أعد المنصور كل ما يلزم للحملة العسكرية فقد جند **5000** من الخيالة و **2000** من المشاة و **1500** من الرماة و **2000** من جنود المدفعية البحرية، و **1000** أبال و **8000** جمل و **1000** حصان[4].

ثم أمر بإخراج المضارب والمباني لوادي تانسيفت[5]، فخرجت الأحمال والأثقال من مراكش يوم 16 من ذي الحجة عام**998 هـ/1590م** ونزلت بالمنطقة وضربت أبنيتها خيلا ورجلا وجملتها عشرين ألفا،" **وعقد المنصور على ذلك الجيش لمولاه جودار باشا وشد أزره بجماعة من أعيان المملكة، أمثال مصطفى تركي ومصطفى بن عسكر والقائد عمار، وأحمد بن يوسف القلعي، وعلى بن مصطفى العلجي**" [6].

---

[1] يحي بو عزيز، تاريخ إفريقيا، (المرجع السابق)، ص: 94.

[2] المرجع نفسه، ص: 94.

[3] المرجع نفسه، ص: 95.

[4] المرجع نفسه، ص: 99.

[5] **تانسنيفت:** نهر يقع على ثلاثة أميال من مراكش ليس بكبير لكنه دائم الجري. ينظر: الحميري محمد عبد المنعم، المصدر السابق، ص: 127.

[6] المرجع السابق، ص: 100.

و لما نهضوا من تانسفت جعلوا طريقهم على ثنية الكلاوي ثم على درعة[1]، أين تزودوا بالمياه والشعير والثمر، مر الجيش على تندوف وتيغازي وتاوديني وكارابارا، وتبكتو[2]، بعد أن قطع نحو ألفي كيلومتر خلال أربعة أشهر تقريبا[3]، منذ خروجه من مراكش أوائل محرم إلى أن وصل نهر النيجر أوائل جمادى الأولى[4]، وأراح في مدينة تنبكتو أيام، ولم يصل الى ضواحي كاغو إلا في شهر مارس من سنة**1591** م، وكانت قد فقدت الحملة في طريقها أكثر من ثلثي رجالها، بسبب العطش والأمراض المعدية ومشاق الطريق وطول أمد الرحلة[5].

تم أول اصطدام بين الجيش المغربي وقوات الصنغاي التي قيل أن عددها بلغ حوالي **80000**رجل، في تونديني على بعد ستين كيلومتر من غاو[6]،ولقد انكسر جيش الصنغاي سريعا أمام الجيش المغربي لانتظام هذا الأخير وحداثة أسلحته النارية التي لم يكن لجيش الصنغاي عهد بها من قبل، ودخل الجيش المغربي اثر ذلك غاو دون صعوبة، وبعدها تنبكتو، وتلقى الطاعة من معظم جهات النيجر الأوسط [7].

منذ أن وصلت الحملة المغربية إلى كارابارا على نهر النيجر، جددت نداءات الأمان للسودانيين، وأقام الباشا جودار حفلا كبيرا بمناسبة وصولهم وعمل" سفرة كبيرة "لإطعام الطعام مرحا لوصولهم البحر سالمين، أي أن الحملة لم تصادف أي مقاومة من عامة السودانيين إلى أن اقتربت من العاصمة كاغو حيث راسل كما يبدو جودار باشا اسكيا إسحاق لمعرفة رأيه في مطالب المنصور[8].

---

[1] الناصري، المصدر السابق، ص: 121.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 100.

[3] يونان لبيب رزق ومحمد رزق، المرجع السابق، ص: 102.

[4] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص: 160.

[5] يحي بو عزيز، المرجع السابق، ص: 100.

[6] المرجع نفسه، ص: 100.

[7] عبد القادر زبادية: مملكة صونغاي في عهد الاسقيين 1493-1591، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، م ط:الجزائر، د س ط، ص ص: 94،95.

[8] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص: 160- 162.

فعقد إسحاق مجلسا للشورى ضم قياده وكبراء مملكته فلما أشاروا إليه بمسالمة الحملة التي لا قبل لهم بمواجهة أسلحتها الفتاكة، غير أن عناد إسحاق وجهله وثقته ببعض المشعوذين ممن يدعون السحر جعله يطمئن لانتصاره في المعركة[1].

لم تدم المعركة أكثر من يوم واحد، إذ انتهت بانتصار القوات المغربية المسلحة وحديثة التنظيم وكان ذلك يوم الثلاثاء **17** من شهر جمادى الأولى سنة**999** هـ الموافق لـ 12 مارس من سنة**1591** م، ومن ميدان المعركة اتجهت الحملة نحو العاصمة كاغو التي فر منها اسكيا إسحاق، وقد كان دخول جودار باشا إلى كاغو يوم **20** رجب**999** هـ **13** /ماي**1591** م[2].

كان أول تقرير أرسله جودار إلى المنصور يؤكد له من خلاله" خيبة المسعى"، حيث أن البلاد فقيرة وليست مدنها إلا قرى صغيرة يلتقي فيها التجار، أما الذهب فإنه يؤتى به من مناطق بعيدة مجهولة لدى معظم سكان سنغاي، وقد أرسل المنصور بعثة للتحقيق في مدى صحة كلام جودار باشا، فأكدت له ذلك[3].

يقال أن جودار لم يدخل مدينة كاغو وإنما تحصن بها اسحاق فحاصره جودار، وكتب إلى المنصور بخبره بالانتصار، وبعث إليه بهدية تألفت من عشرة آلاف مثقال ذهبا ومئتين من خيار الرقيق وغير ذلك وامتدت جند المنصور في بلاد آل سكية تفسد وتسبي وتغنم إلى أن راسل إسحاق جودار[4]، فعرض عليه الصلح، وأن يمنح لملك المغرب إتاوة سنوية وكمية معينة من المال والذهب[5].

---

[1] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص: 162.

[2] المرجع نفسه، ص: 162

[3] عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص: 95.

[4] الناصري، المصدر السابق، ص: 122.

[5] عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الامبراطورية العهد التركي في تونس و الجزائر، ج2، ط1، دار الغرب الاسلامي، م ط: بيروت، س ط: 2005، ، ص:316.

وبالفعل فقد دفع مائة ألف مثقال من الذهب وألف عبد، واشترط عليه أن ينسحب الجيش المغربي، ويعود أدراجه إلى المغرب، ويترك أمر مملكة سنغاي لآل سكية[1]، فصرح له أنه لا يمكنه أن يتخذ قرارا بهذا الحجم دون العودة إلى سيده المنصور[2].

وبالفعل بعث القائد إلى المنصور برسالة يستوضح له من خلالها الموقف ويستعرض له المستجدات التي طرأت على جيشه، إذ تعرض الجند إلى الحمى، فاتفق رأي على الرجوع والإقامة بتمبكتو إلى أن يأتي جواب المنصور[3] .

فرجعوا وأخذ جودار في إنشاء «الغلائط» والسفن وتركيبها، ولما أكملها دفعها في نهر النيل، ولما بلغ المنصور خبر الصلح قام بتجهيز جيشا وبعثه مع مملوكه محمود باشا، وهو أخو جودار، وعزل جودار وأمر محمود أن يبقيه معه وكتب إلى أمراء العسكر يعاتبهم ويوبخهم على ما فعلوه مع إسحاق اسكيا في أمر الصلح، ويؤكد عليهم في الرجوع إلى بلاده [4].

خرج محمود باشا بمن عين له من الجند ونزلوا على ظاهر تنبكتو على رأس سنة الألف فأراح بها ثلاث" **ثم شحن الغلائط والسفن والفلك بالرؤساء والملاحين ووجه الجند فساروا في النيل وسار السواد الأعظم في البر إلى أن نزلوا على مدينة كاغو قاعدة ملك إسحاق سكية**"[5].

التقى الجمعان و"**انهزم السودان من سماع رعد المدافع و المهاريس و ارتفاع القنابل في جو و هدير الطبول و تبعتهم العساكر يقتلون و يؤسرون إلا أن غشيهم ظلم الليل و رجعوا بالغنائم و السبي**"، و قد أمر محمود أخاه جودار أن يقيم بمدينة كاغو و يترك معه عددا من الجنود يكونوا بمثابة دعم له، أما هو فقد شرع في تنظيم القوات المسلحة لمتابعة الحرب ضد أسكيا إسحاق حتى الاستسلام أو القضاء عليه[6].

---

[1] يونان لبيب رزق و محمد مزيس، المرجع السابق، ص: 103.

[2] الناصري، المصدر السابق، ص: 123.

[3] المصدر نفسه، ص: 123.

[4] الناصري، المصدر السابق، ص: 123.

[5] المصدر نفسه، ص: 123.

[6] المصدر نفسه، ص: 123.

ومن الوسائل التي اتخذها محمود باشا بناء الأصاطيل والسفن لعبور نهر النيجر وملاحقة قوات اسكية إسحاق، إلى أن اصطدم الفريقان في منطقة ينب شمالي نهر النيجر بين مدينتي كاغو و تمبكتو يوم الاثنين **25** من شهر ذي الحجة سنة**999** هـ الموافق لـــ **14** أكتوبر عام **1591**م، وانتهت المعركة بانهزام إسحاق وفراره، فتوجهت القوات المغربية نحو كاغو، وبقيت جند المنصور تطارد سكية، خاصة و أن مقاومته قد أخذت تضعف لتخلي الكثير من السودانيين [1].

تابعت القوات المهاجمة ومطاردة إسحاق الذي التجأ عند أناس أووه وما تابعه أحد من أهل سفى غير أن التهديد باستعمال القوة ضد الذين آووه، قد أجبرهم على قتله أو لعل إسحاق انتحر بتجرّعه السّم خوفا من أن يسلمه هؤلاء إلى محمود باشا[2].

واعتمادا على ما أورده وزير المنصور الفشتالي في المناهل«**فقد انضمت ممالك السودان في سلك الطاعة ما بين البحر المحيط من أقسى المغرب إلى بلاد أكنو المتاخمة لمملكة برنو**» [3].

ثم كانت لمحمود وقعة أخرى مع أخيه الذي كان ينازعه في الملك، فقد قام بعد مهلك أخيه بجمع الجموع والزحف إلى محمود باشا فنهض إليه محمود فهزمه وقتله فيمن معه من جنوده وأتباعه، وتمهدت له البلاد واستولى عليها استلاء كليا، وكتب بخبر الانتصار إلى المنصور[4].

بعدما بلغ المنصور خبر الاستيلاء على الصنغاي كان عنده ذلك اليوم عيدا من الأعياد أخرج فيه الصدقات وأعتق الرقاب وأقام مهرجانا عظيما خرج له عامة الناس للفرحة والنزهة وزينت الأسواق وتسابقت الخيول، وأطعم الناس عدة أيام، ونظم الشعراء قصائدهم ورفعوا مدائحهم وكتبوا بخبر الانتصار وجهت نسخ منها إلى جميع الآفاق وكان مما قيل في ذلك من الشعر ما أنشده الكاتب أبو فارس الفشتالي فقال بهذا الصدد:

---

[1] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص: 163، 164.

[2] الناصري، المصدر السابق، ص: 123.

[3] المصدر نفسه، ص: 124.

[4] المصدر نفسه، ص: 124.

جَيْشُ الصَبَاحِ عَلَى الدُجَّا مُتَدَفِقُ فَبَيَاضْ ذَا السَـــــوَادِ ذَالِكَ يَمْحَقُ.
وَكَأَنَهُ رَايَاتُ عَسْكَرُكَ الَتِـــــي طَلَعَتْ عَلَى السُودَانِ بِيضًا تَخْفَــقُ.
لَاحَـــتْ وَأُفُقُهُمْ لَيَـــالٍ كُلُّـــهُ كَعَمُودْ صُبْحٍ فِي الدُّجَـا يَتَأَلَـــقُ[1].

أيضا نذكر ما نظمه أبو العباس أحمد بن يحي الهوارلي في مدح السلطان أحمد المنصور بمناسبة استيلائه على بلاد السودان فكتب يقول:

فَتـــْحٌ كَمُنْبَلِـجِ الصَبَـاحِ المسْفِرْ تُجْنيه مِنْ وَقْـعِ القنَّـــا المتـــأَطِر.
هَذَا مَحْيَا السَّعْـــد بَاهُ مُشْـــرِفْ يَرْنُو إِلَيْكَ بِطَلْعَـــةِ المسْتَبْشِـــر.
أَيُقَـاوِمُ الأَعْـدَاءَ صُولَةَ بَأسِـــهِ هَلْ لِلْغَمَـامِ يَدُ بِعَاصِفِ صَـرْصَرِ[2].

[1] الناصري، المصدر السابق، ص: 124.

[2] المقري أحمد بن محمد: روضة اللآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيت من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، م ط: الرباط، س ط: 1983م، ص ص: 168،169.

المبحث الثالث: انعكاسات الحملة على كل من المغرب والسودان الغربي:

لقد قيل الكثير حول موضوع غزو أحمد منصور الذهبي لبلاد السودان الغربي، فقد تحدثت بعض الروايات التاريخية على الكثير من التجاوزات التي صاحبت الحملة .ومهما يكن فقد صاحب هذا النصر مجموعة من النتائج انعكست بشكل مباشر على كل من المغرب الأقصى و بلاد السودان الغربي.

1)_ **انعكاسات الحملة على بلاد السودان الغربي:** لقد ترتب على غزو بلاد السودان الغربي عدة نتائج من أهمها نذكر:

_ استطاع المنصور بفضل هذه الحملة أن ينشر الأمن في مناطق الصحراء النائية التي كانت فيما قبل ملجأ للثوار والمتمردين[1].

_شملت سلطة الملك السعدي أحمد المنصور الذهبي منطقة برنو الواقعة شرقي السودان فتمكن بفضل ذلك من السيطرة على معدن الذهب الذي كان متوفرا في أراضي السودان [2].

_ جعل على كل المناطق التب سيطر عليها والي يحمل كل واحد منهم لقب الباشا[3]، هؤلاء استخدموا كل الوسائل للوصول إلى الذهب، ومثالا على ذلك ما ارتكبه الوالي ابن زرقون من نهب لدور ومساكن سكان تنبكتو بحثا عن الذهب وقتله لعدد كبير من الناس داخل المسجد عام**1594** م تنفيذا لأوامر احمد المنصور[4].

_اضطهاد العلماء والتنكيل بهم، فقد قام بعض الولاة بأمر من المنصور الذهبي باعتقال العلماء والفقهاء وإهانتهم ثم ترحيلهم إلى مراكش وعلى رأسهم زعيم أل أقيت العلم المشهور أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن أقيت التنبكتي الصنهاجي الفقيه المؤرخ والمحقق له ما يزيد عن أربعين تأليفا منها: شرح على مختصر خليل من الزكاة من الزكاة إلى النكاح، وفوائد النكاح على مختصر الوشاح ونيل الابتهاج بتطريز الدباج وكتاب كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج [5].

---

[1] يونان لبيب رزق ومحمد مزيس، المرجع السابق، ص: 104.

[2] المرجع نفسه، ، ص: 104.

[3] عبد الكريم كريم، المرجع نفسه، ص: 169.

[4] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 103.

[5] المكناسي أبو العباس أحمد بن محمد: ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال-960-1025هـ، ج1، تح:محمد الأحمدي أبو النور، د ط، م ط: القاهرة، د س ط، ص: 16.

_لقد بدا مبدأ السيطرة ومبدأ الملكية والخضوع لحاكم بعينه وبقوة السلاح في إفريقيا، وبين منطقة بيضاء ومنطقة سوداء، وصحبته عملية الحصول على الرق للعمل في القوات المسلحة أو العمل في القصور والاهتمام بالخيول، ولولا وجود رباط الإسلام، كعامل وجود بين المغاربة والسودانيين لكانت المسألة أكثر عنفا [1].

_كانت تلك الحملات الآتية من الشمال تعني سلب الأهالي، وترحيل الكثير من العبيد صوب الشمال، وكان يعني هذا القهر الأمر الذي لم يكن موجودا أيام مشاركة أبناء السودانيين للمرابطين وعلى قدم المساواة في عمليات الجهاد الإسلامي[2].

_مع تطور النظام الموجود في أوروبا زاد تجميد الأوضاع في السودان الغربي، وفي شكل زيادة تدعيم النظام الإقطاعي وفي سورة قهر واستنزاف للموارد المتاحة ودون أي اهتمام بتنمية موارد جديدة [3].

_كل الاضطرابات التي حدثت مع ما صاحب من معارك، قد أثر في الأمن والاستقرار وأثر بالتالي على التجارة، والتي كان أحمد المنصور يأمل في ازدهارها بعد وصول قواته إلى تلك المناطق ولقد نشأت بعد ذلك حكومة تعتمد على انتخاب الجنود لرئيسها وظلت موجودة في السودان الغربي وتحتفظ للولاء الأسمى لسلطان المغرب[4].

_أدى استقرار الجنود المغاربة في الإقليم وتزاوجهم من الأهالي مجموعة من الموالين.

_في الوقت الذي تطورت فيه الأوضاع في أوروبا، مع زيادة الاهتمام بالحرف وزيادة أهمية رأس المال مع ما تبع ذلك من انطلاقة كبيرة في عامل رؤوس الأموال سهلت عملية إنشاء السفن أمر القيام برحلات بعيدة لجلب الموارد الخام، وتوزيع المنتجات الأوروبية، وفي الوقت نفسه استمرت عملية تجميد الأوضاع بل والتنازع على الثروات الموجودة، وانتزاع الذهب من هذه المنطقة أو تلك دون أن يؤدي ذلك إلى تطوير وسائل علاقات الإنتاج، و قد أدى هذا

---

[1] جلال يحي، تاريخ إفريقيا، (المرجع السابق)، ص: 130.

[2] المرجع نفسه ص ص: 129.

[3] المرجع نفسه، ص: 129.

[4] المرجع نفسه، ص: 120.

الأمر إلى قلة حجم التجارة الموجودة في السودان الغربي نتيجة لتخريب المدن كالقضاء على سلطنة صنغاي في عام**1590 م**[1].

من انعكاسات الحملة ظهور ممالك وسلطنات كثيرة ومتناحرة فيما بينها، وكان بعضها لا يشمل إلى على قبيلة واحدة أو حتى متحد واحد من القبائل[2]، وهذا أصبحت مملكة صنغاي تعاني من فوضى سياسية واقتصادية واجتماعية[3]، فقد تفككت بالتدريج حتى دخلت دائرة التاريخ باعتبارها آخر وأكبر الممالك والإمبراطوريات الإفريقية في هذه المناطق خلال فترة العصور الوسطى[4].

تغيرت الكثير من الأمور، فقد حل الخوف والخطر محل الأمان والطمأنينة، كما حل الفقر محل الثراء والغنى، وبدل السلام لم يعد هناك سوى الحزن والعنف والكوارث [5].

2)_ **تأثيرات الحملة على المغرب الأقصى**: لقد ترتب عن الحملة التي قادها المنصور الذهبي ضد بلاد السودان الغربي نتائج انعكست ايجابا على المملكة المغربية وأثرت بشكل مباشر على جميع أوجه الحياة، كما انعكست أيضا ايجابا على السياسة الخارجية للمغرب من بين أهم هذه الانعكاسات نذكر:

_ **انعكاسات الحملة على المستوى الداخلي**: ترتب على الحملة مجموعة من الانعكاسات أثرت بصورة مباشرة على شتى الميادين، وكانت بمثابة نقطة انطلاق نحو الازدهار والرقي من أهمها نذكر:

_ على الصعيد الاقتصادي والعمراني:

- وسع أحمد المنصور رقعة نفوذه فشملت مجموع الأراضي الواقعة شمال نهر النيجر، كما وطد نفوذه في الأجزاء القاصية من الصحراء والتي كانت موئلا للثوار، وهذا شملت سيادته مملكة

---

[1] جلال يحي، تاريخ إفريقيا، (المرجع السابق)، ص: 121 .

[2] المرجع نفسه ، ص: 121.

[3] قدوري عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 48.

[4] جوان جوزيف، المرجع السابق، ص: 86.

[5] المرجع نفسه، ص: 86.

بورنو المتاخمة لحدود السودان الشرقي[1]، كما أكد ذلك الفشتالي بقوله: « **فكلمة المنصور نافذة فيما بين بلاد النوبة إلى البحر المحيط من ناحية المغرب** »[2].

– كما حصل المغاربة على غنائم كثيرة وصلت إلى مدينة مراكش في شكل أحمال جمال من التبر والذهب[3]، وهكذا توفر للمنصور معدن الذهب التي تحتوي عليها أراضي السودان والتي طالما هتفت نفسه إلى الاستيلاء عليها وبذلك حقق ما كان يصبو إليه من تنمية اقتصاد المغرب وإحداث عملة ذهبية ثقيلة صارت لها قيمة دولية حتى قيل أن أربعمائة وألف مطرقة كانت معدة باستمرار لضرب الدينار الذهبي في دار السكة بمراكش.

– وهذا عم انتشار الذهب بالمغرب حتى صنعت منه أواني وحلية لا تعد ولا تحصى[4]، وهكذا دخلت المملكة السعدية مع أحمد المنصور فترة مجدها وعظمتها واقترن إسمه بالذهب لما جمعه من ثروات خاصة بعد حملته الضاربة على السودان الغربي سنة **1591م**[5].

– كما برزت آثار هذه العظمة على هيكلة المخزن السعدي وعلى جيشه الذي تغذى بعبيد السودان، أولئك الذين وجد فيهم المنصور آداة طيعة لتدعيم نفوذه والتخلص من مساومة قبائل منطقة السوس المتمردة الرافضة لدفع ما فرض عليها من مطالب مخزنية أرهقت كاهلهم[6].

وتكاثرت بفضل هذا الذهب المنشآت العمرانية والصناعية[7]، ومن أشهر مشاريع المنصور العمرانية تشييده لقصر البديع[8]، حيث اعتاد الملوك المغاربة أن يخلدوا انتصاراتهم الكبرى بتشييد مباني تكون في مستوى تلك الانتصارات، مثلما قام به المنصور الموحدي من

---

[1] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج2، ص: 270.

[2] الناصري، المصدر السابق، ج5، ص: 125.

[3] جلال يحي، المغرب الكبير، ج3، (المرجع السابق)، ص: 45.

[4] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص: 271.

[5] دلندة الأرقش وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، د ط، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، د م ط، س ط: 2003م، ص: 22.

[6] المرجع نفسه، ص: 22.

[7] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص: 271.

[8] شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، (المرجع السابق)، ص: 192.

بناء الجوامع الثلاثة:(الخير دا) في اشبيلية[1] والكتيبة في مراكش، وحسان بالرباط في أعقاب انتصاره بموقعة الأرك (ALARCOS) بالأندلس، على نحو ذلك شرع المنصور السعدي بعد انتصاره على الجيش البرتغالي ومصرع الملك سباستيان في واد المخازن وبعد المعركة بنحو خمسة شهور في بناء[2] قصر البديع[3]، الذي شرع في بنائه سنة 1578م.

لقد بنى القصر البديع كونه محبا للعظمة والمظاهر الفخمة ليخلده ويخلد أسرته وسعى لأن يجعل منه تحفة فنية لا مثيل لها تجمع تقاليد المشرق والمغرب وأوربا الفنية لذلك حشد له الصناع من كل البلاد[4].

فكان يجتمع كل يوم لهذا العمل من أرباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق عظيم حتى كان يقام لهم ببابه سوق يقصده التجار ببضائعهم؛ كما جلب له الرخام من بلاد الروم، فكان يشتريه منهم بالسكر، وأما الجبس والجير وباقي مستلزماته فجمعت له من كل جهات العالم[5]

_ وقد شيد البناء على شكل مربع وفي كل جهة منه قبة هائلة تحف بها قباب أخرى وقد استخدم فيه من الرخام المخزع والمرمر الأبيض والأسود مايحير الفكر ويدهش النظر وكل رخامة طلت رأسها بالذهب الذائب، كما فرشت أرضه بالرخام عجيب النحت الصافي، وأما سقوفه فتجسم فيها الذهب وطليت الجدران به مع بديع النقش[6].

وقد وصفه أبو فارس عبد العزيز الفشتالي بقوله:

كُلُّ قَصْر بَعْدَ البَدِيـعِ نـَـدَمْ فِيهِ طـَـابَ المَجْنَى وَطـَـابَ المَشْمُ.

---

[1] **اشبيلية:** مدينة كبيرة وعامرة, ذات أسوار حصينة وأسواق كثيرة تقع على نهر الوادي الكبير. أصبحت بعد الفتنة عاصمة لمملكة بني عباد، ولم تفقد أهميتها في عصر الموحدين إلى أن استولى عليها النصارى نهائيا سنة 646هـ/1248م. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص:264.

[2] التازي عبد الهادي: قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا- بواعث تشييده وتخريبه، د ط، م ط: الرباط، س ط: 1977م، ص: 4.

[3] للاطلاع على أهم المعالم العمرانية لقصر البديع، ينظر الملحق رقم: 8.

[4] عامر محمد علي، فارس محمد خير: تاريخ المغرب العربي الحديث- المغرب الأقصى، ليبيا، د ط، منشورات جامعة دمشق، د م ط، س ط: 1999م-2000، ص: 59.

[5] شوقي عطاء الله الجمل، المغرب العربي الكبير، (المرجع السابق)، ص: 192.

[6] المرجع نفسه، ص: 192.

مَنْـــظَرٌ رَائـــــقٌ وَمَـــــاءٌ نَمِيرْ وَثَـــــرَى عَاطِـــــرٌ وَقَصْرٌ أَشْـــتَمُ.
إِنَّ مَرَّاكْشًا بِهِ قَدْ تَبَـــاهَتْ مَفْخَرًا فَهِي لِلْعُلاَ الدَّهْرِ تَسْمـــُو[1].

كما اهتم أحمد المنصور بتحسين صناعة السكر الذي أصبح يمثل مادة تجارية هامة بالنسبة للمغرب مع الدول الأوربية[2] في واد السوس[3]، وقد فتح هذا الغنى والرفاهية مجالات واسعة للعمل أمام طبقات العامة في ميادين الفلاحة والصناعة والتجارة ومختلف الحرف اليدوية أو كجنود نظاميين في قوات المنصور المحاربة[4].

ولهذا ترك أعظم الأثر في طبقات المجتمع وأنماط الحياة المغربية، وبديهي أن شيوع الأمن والاستقرار وانتعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية من شأنه أن يهيئ الجو المساعد لتطور ثقافي وفكري.

لم تقتصر جهود المنصور العمرانية على مراكش فقط، بل تعدت ذلك إلى بناء حصنين بثغر العرائش إضافة إلى أعماله الإصلاحية الأخرى التي قام بها في آسفي وأزمور وأصيلا وسائر الأطراف والثغور إذ اعتنى بتقوية أسوارها بالإضافة إلى ترميم الجسور إلى غير ذلك من الأعمال العمرانية[5].

– على الصعيد الخارجي: كما أثر مشروع الغزو على الأوضاع الداخلية فإنه أيضا على العلاقات الخارجية للمغرب ومن أهم المستجدات التي طرأت بعد انتصار المغرب في حملته على بلاد السودان الغربي نذكر:

– أصبح السلطان أحمد المنصور إمبراطورا تدين لطاعته بلاد واسعة من شمالي غربي إفريقيا، وهذه الإمبراطورية تميزت بأهمية الموقع بالنسبة لقلب القارة الإفريقية وباستراتيجية السواحل التي تمتد على مئات الكيلومترات على ضفاف المحيط الأطلسي[6].

---

[1] شوقي عطاء الله الجمل، المغرب العربي الكبير، (المرجع السابق)، ص ص: 193.

[2] التازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، مج2، د ط، د م ط، س ط: 1986م، ص: 11.

[3] جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، (المرجع السابق)، ص: 120.

[4] عبد الكريم كريم، المرجع السابق ، ص:177.

[5] شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث،(المرجع السابق)، ص ص: 193،194.

[6] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص: 174.

وهذا أصبح لامتداد إمبراطورية المنصور على المحيط الأطلسي أثر كبير في إنشاء أسطول مغربي وفي ضرورة دخول المغرب عالم البحار الذي كان الأوربيون يحتكرونه ويتحكمون بكل ما يتعلق بالمواصلات وحركات الكشوف البحرية [1].

– مما زاد في رغبة المنصور في التوسع انهزام الإسبان في الأرمادا وفقدانهم لمعظم قواتهم البحرية، فقوى صلاته مع الإنجليز الذين اشتهروا بصناعة السفن وركوب البحار علاوة على ما توفر عليه المغرب من إمكانيات مادية وبشرية لتحقيق ذلك[2].

– بعد الاستيلاء على السودان الغربي والحصول على غنائم كثيرة أخذت الدول الأوربية تنظر إلى المغرب على أنه يشتمل على موارد كبيرة من الذهب[3]، وبالتالي بدأوا يعتبرونه مملكة يجب أن يحسب لها حسابها؛ لكل هذه الأسباب أرسلوا سفنهم لمراسيها، كما بعثوا بسفرائهم إلى مراكش في محاولة منهم الحصول على قروض من السلطان أحمد المنصور[4].

_ تفتح المغرب على معظم بلاد أوروبا في معاملات تجارية ومراسلات ودية[5]، حيث تبادل أحمد المنصور التجارة مع الإنجليز فقدم لهم الذهب والسكر والكبريت مقابل الأقمشة التي كانوا يرسلونها له[6].

_ منذ نجاحه في الاستيلاء على بلاد السودان الغربي سعى إلى المحافظة على روابط الود مع قوى الشرق والغرب، بدافع الرغبة في التوسع وبسط النفوذ في المناطق الإفريقية الداخلية، واستغلال خيرات هذه البلاد ، كما عمل في الوقت نفسه على تقوية مملكته وتوطيد دعائم قوته[7].

---

[1] عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص: 174.

[2] المرجع نفسه، ص: 175.

[3] جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، (المرجع السابق)، ص: 120.

[4] المؤلف مجهول: المغرب الأقصى- مراكش قبل الحماية – عهد الحماية- إفلاس الحماية، د ط، مكتب المستندات والأنباء، الطبعة العربية، د م ط، د س ط، ص: 24.

[5] الفيلالي عبد الكريم: التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير،ج3، ط1، م ط: القاهرة، س ط: 2006، ص: 368.

[6] محمود السيد: تاريخ دول المغرب العربي .ليبيا. تونس. الجزائر. المغرب. موريتانيا، د ط، م ط: الإسكندرية، س ط: 2006، ص: 242.

[7] عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص: 117.

الخاتمة

من خلال ما تم عرضه من معطيات تاريخية رسمت لنا المسيرة التاريخية للمغرب الأقصى بقيادة المنصور الذهبي خلال الفترة الممتدة من سنة 1582م إلى غاية سنة 1591م أمكننا الخروج بمجموعة من الاستنتاجات تمثلت فيما يلي:

_ عرف المغرب خلال القرن السادس عشر ونهاية القرن الخامس عشر حالة من التدهور نتيجة لعدة ظروف منها احتلال البرتغال لمدنه الساحلية، مما ساعد على ضعف المملكة الوطاسية؛ في هذه الأثناء بادرت القبائل الموجودة في الجنوب في إقليم السوس إلى مبايعة السعديين لمحاربة البرتغال وطردهم، وبذلك قامت المملكة السعدية بقيادة القائم بأمر الله بعد مبايعته سنة 1509م.

_ بلغت المملكة السعدية أوج ازدهارها في أواخر القرن السادس عشر ميلادي خاصة مع أبرز سلاطينها أحمد المنصور الذهبي الذي استولى على مقاليد الحكم بعد معركة واد المخازن سنة 1578م، بعدما قتل عبد المالك بن محمد الشيخ ومحمد المتوكل بن الغالب.

_ ساهمت المعركة على ترصيص البنية الداخلية للمملكة، حيث حسمت مسألة الحكم و الصراع حول السلطة داخل جهاز المخزن السعدي، وزادت من هيبة المملكة بين القبائل والزوايا المناوئة لسلطة السعديين.

_ نظم المنصور منذ توليه الإدارة المغربية وضبطها بما لم يكن معروفا من قبل، متخذا من مراكش عاصمة له، كما اهتم بالجيش ووفر الأمن.

_ اطلع المنصور إلى توسيع مملكته، لكنه أعاق مشروعه هذا وجود قويتين هما العثمانيين في الشرق، والإسبانيين في الشمال؛ وبهذا لم يبقى له المجال سوى التوجه نحو الجنوب.

_ اتجه المنصور الذهبي في سياسته التوسعية نحو جنوب الصحراء الكبرى لتكوين خلافة سعدية واسعة والحيلولة دون وصول البرتغاليين والإسبان إلى الأراضي الإسلامية في بلاد السودان الغربي.

_ساهمت مجموعة من الدوافع التي حركت المشروع، منها ما هو اقتصادي، فقط طمح المنصور في الاستحواذ على مناجم الملح واستغلال مناجم التبر التي تزخر بها الأرض السونغية. أما فيما يخص الدوافع السياسية فلقد شكلت هذه الحرب فرصة للسلطان السعدي، لإبعاد

قادته العسكريين عن دائرة البلاط، وخصوصا ذوي الأصول الأندلسية الذين شكلوا فرقتين عسكريتين، فرقة الأندلسيين(المسلمين) وفرقة المستعمرين الذين أطلق عليهم العلوج وذلك قبل إسلامهم ومنهم عناصر نصرانية كثيرة من عدة أجناس أوربية؛.

ـ إن طموح القادة العسكريين الأندلسيين في استرجاع الأندلس الضائعة في يد الإسبان شكل عند المنصور تخوفا إذ رأى فيه ثورا لذلك فكر في صرف طاقة الجيش في مشروع الحملة للتخلص من ضغوطهم وتطلعاتهم.

ـ بدأ المنصور الذهبي مشروعه التوسعي باحتلال كل من توات وتيكورارين وإخضاع بعض الإمارات السودانية الصغيرة؛ بعدها توجه إلى الصنغاي بتاريخ 12مارس من سنة 1591م للإستيلاء عليها، وقد ترتب على هذه الحملة عدة نتائج مست كل الجوانب.

ـ تمكن المنصور من التوسع في غربي إفريقيا من الجنوب إلى ما وراء نهر النيجر وصولا إلى بلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر.

ـ أثرى توسع السعديين في السودان خزائن المنصور بالذهب وغير ذلك من الغنائم

ـاعتنى المنصور بزراعة السكر وصناعته ووسع مزارعه التي لم تعد قاصرة على سوسو إنما أصبحت تنتشر في بلاد حاحا وشيشاوة القريبة من مراكش، إذ طور مصانع تصفية السكر وجهزها بأحدث الآلات، بحيث أصبح السكر المغربي مرغوبا فيه من مختلف البلاد الإفريقية والأوروبية كما وظف عائدات السكر والتبر المجلوب من السودان في تشييد منشآت عمرانية في مختلف أنحاء البلاد وأعظمها قصر البديع بمراكش الذي لم يبنى قبله مثيل في هذه البلاد.

ـ جعل المنصور من بلاد السودان باشوية وولى عليها قادة عسكريين حمل كل منهم لقب الباشا منحهم كل السلطات العسكرية والسياسية.

ـ أدى نجاح الحملة إلى انتشار الحضارة الإسلامية والمعارف والثقافة والقيم والتقاليد والعادات العربية الإسلامية ببلاد السودان.

ـ تمكن المغرب بعد الانتصار الذي حققه من تكريس طوق العزلة والانفتاح الدولي برسم صورة جديدة لطبيعة العلاقات بين المغرب والدول الأخرى التي اتسمت بالاحترام المتبادل.

وفي الأخير وكنتيجة عامة فإن الحملة التي قادها المنصور الذهبي على بلاد السودان الغربي كان لها آثار وانعكاسات مست الطرفين.

حاولنا من خلال بحثنا هذا الإجابة على الاشكالية ومجموعة الأسئلة التي انطلقنا منها في بنائنا العلمي والتاريخي للموضوع ومع هذا حاولنا أن نختم بحثنا هذا بإشكالية أخرى تفتح آفاقا لدراسات أكاديمية أخرى وهي: هل مشروع الغزو الذي قاده ونفذه المنصور الذهبي في بلاد السودان الغربي كان الهدف منه إعلاء راية الإسلام أم أن الهدف منه كان اقتصادي وسياسي محظ؟.

قائمة الملاحق

الملحق رقم : 01.

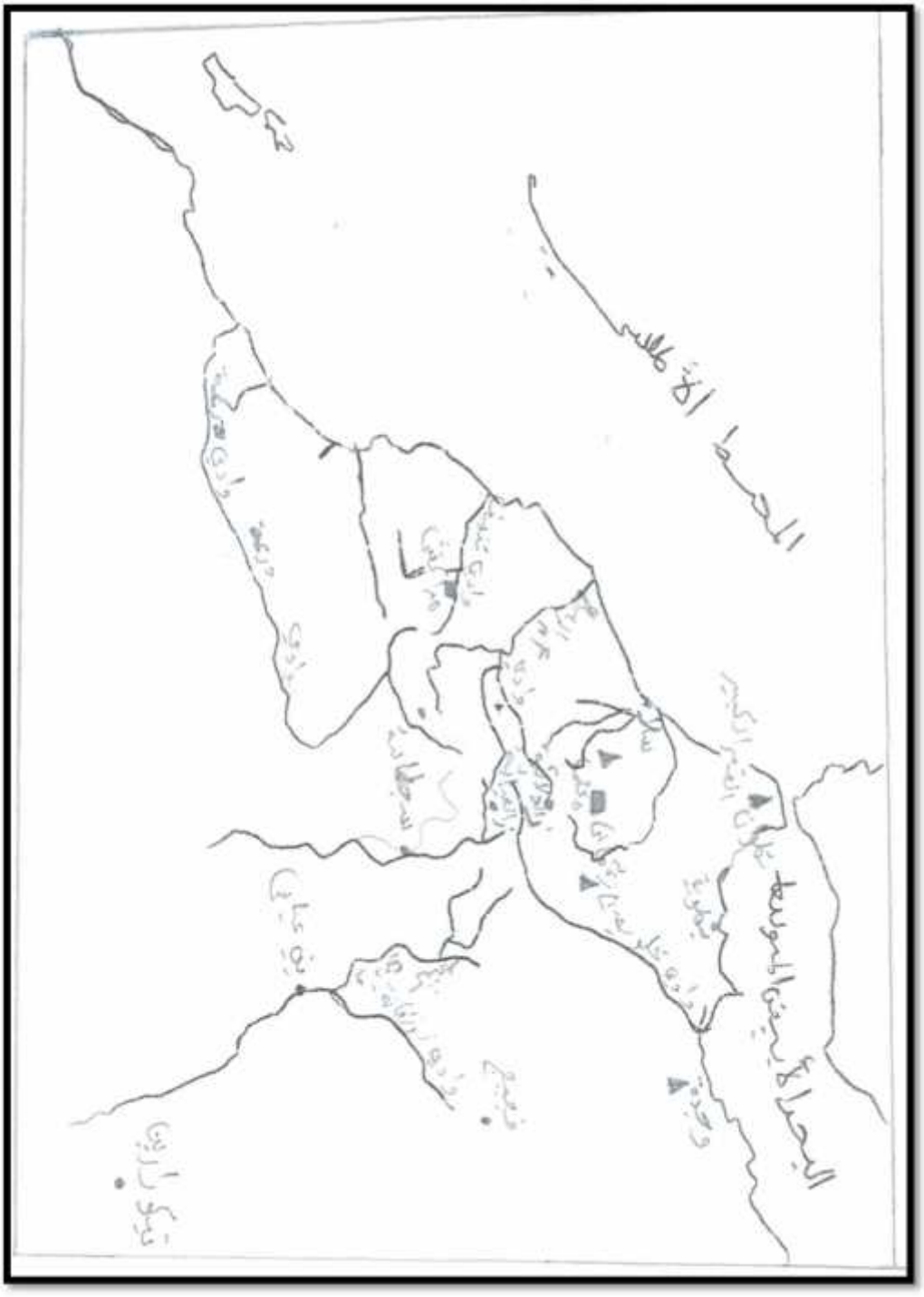

خريطة توضيحية للمغرب الأقصى على عهد السعديين.

ينظر: محمد السيد محمد أبو الرحاب، المرجع السابق، ص: 619.

الملحق رقم: 02

خريطة توضيحية لأهم المعالم الجغرافية للسودان الغربي.

ينظر: شوقي أبو خليل: أطلس دول العالم الإسلامي، ط2، دار الفكر، م ط: دمشق، س ط: 1998،ص: 62.

الملحق رقم: 03

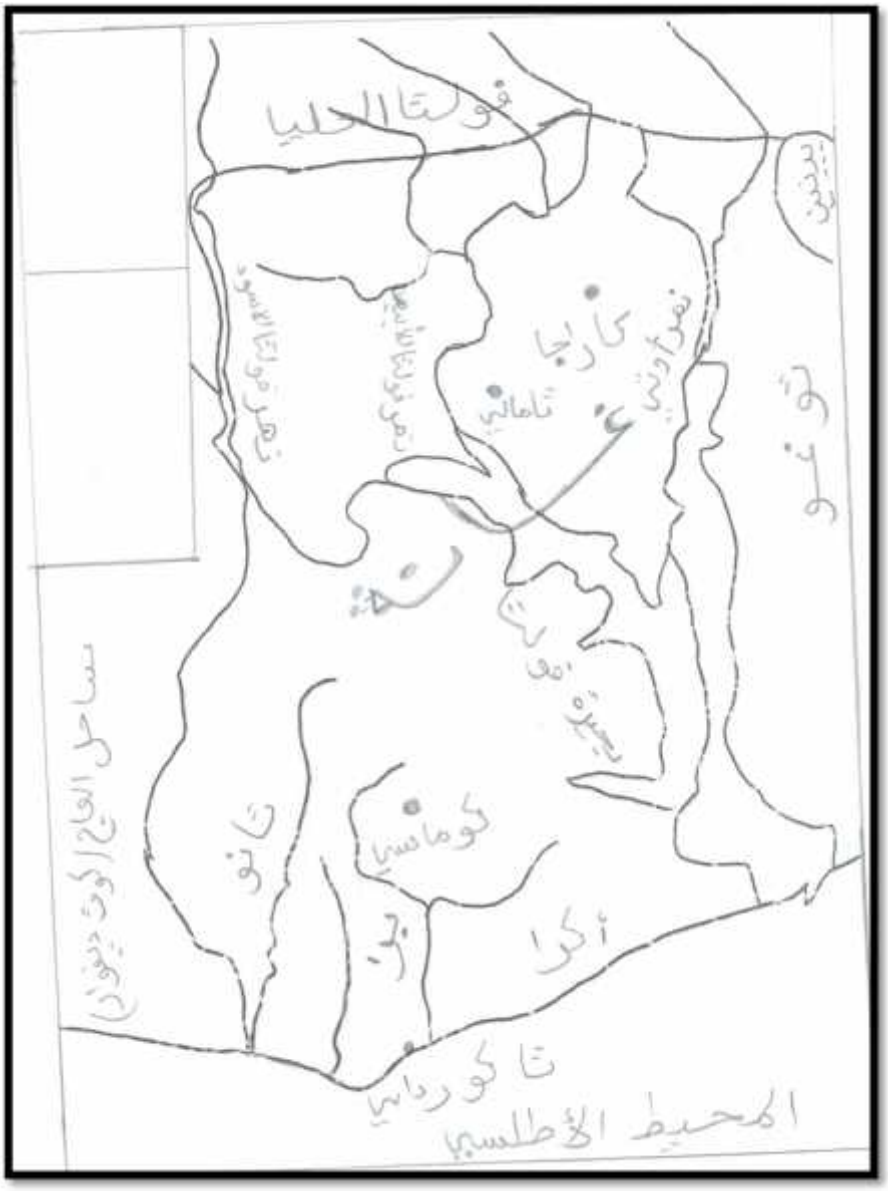

خريطة توضيحية لأهم المعالم الجغرافية لمملكة غانا.

ينظر: شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص: 162.

الملحق رقم: 04

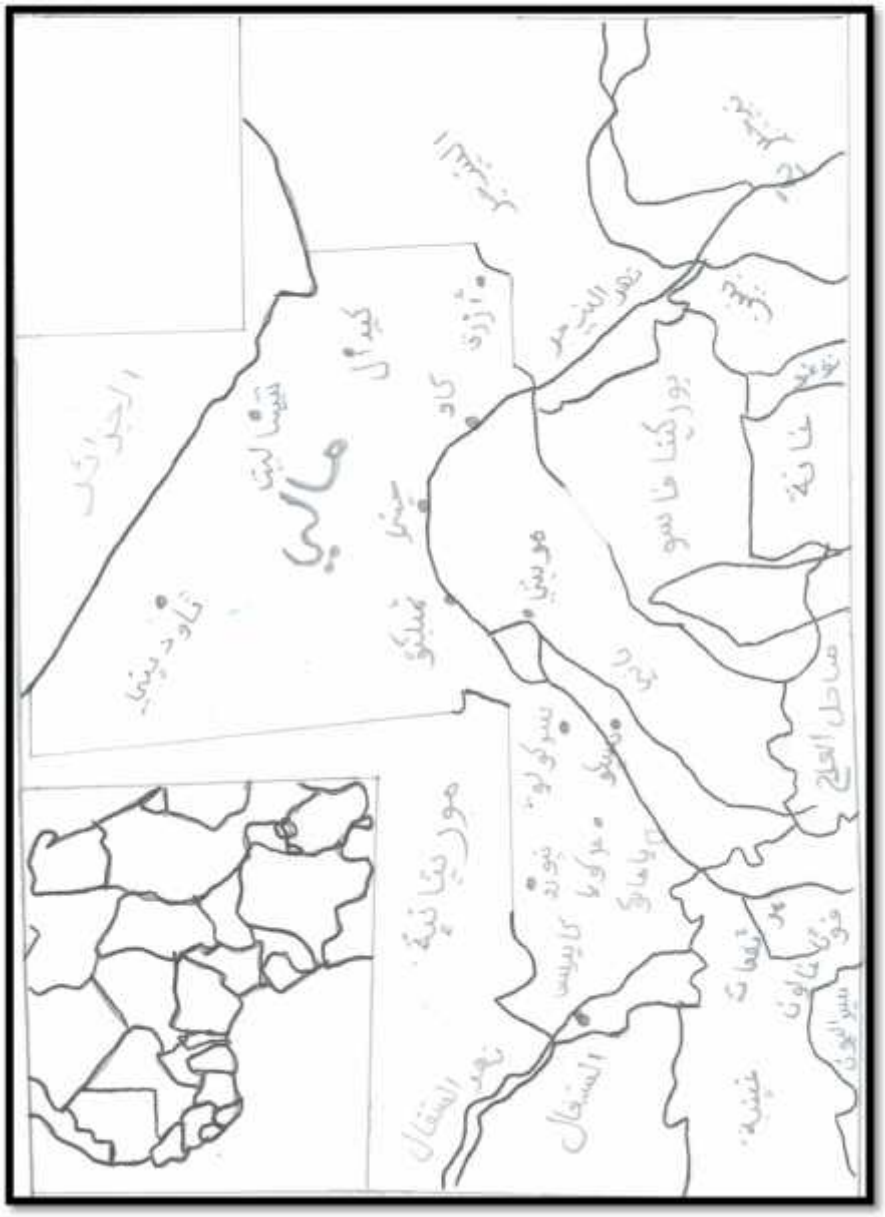

خريطة توضيحية لأهم المعالم الجغرافية لمملكة مالي.

ينظر: شوقي أبو خليل: المرجع نفسه، ص: 102.

الملحق رقم: 05

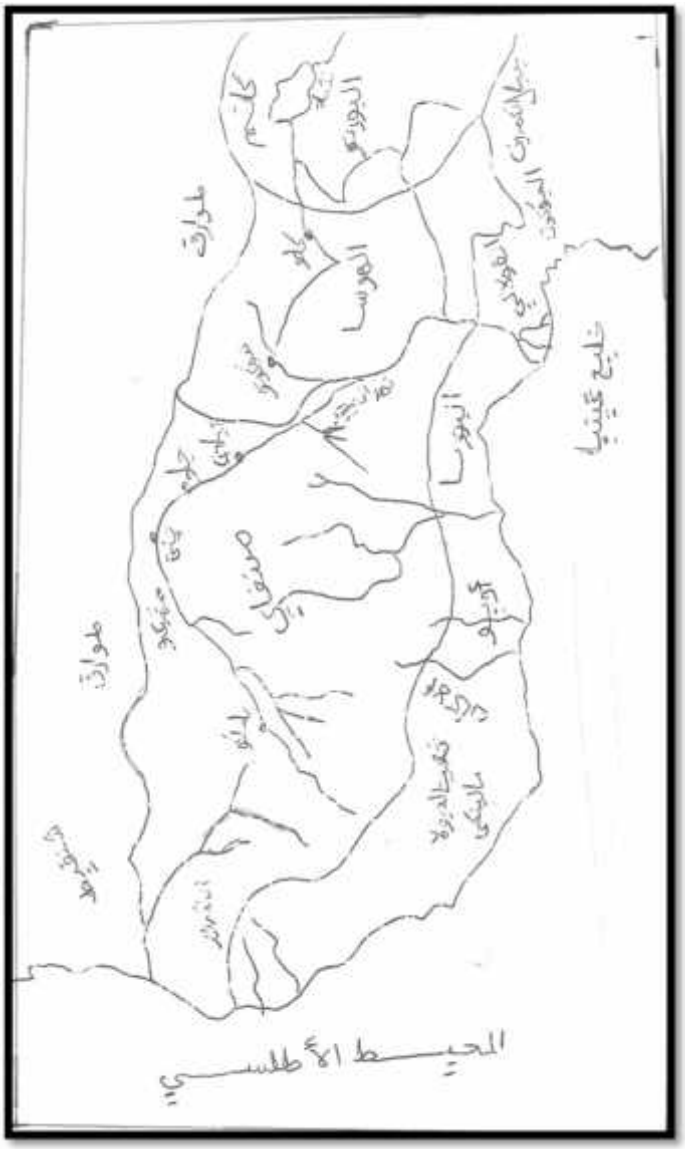

خريطة توضيحية لأهم المعالم الجغرافية لمملكة الصنغاي

ينظر: قدوري عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 122.

الملحق رقم: 06

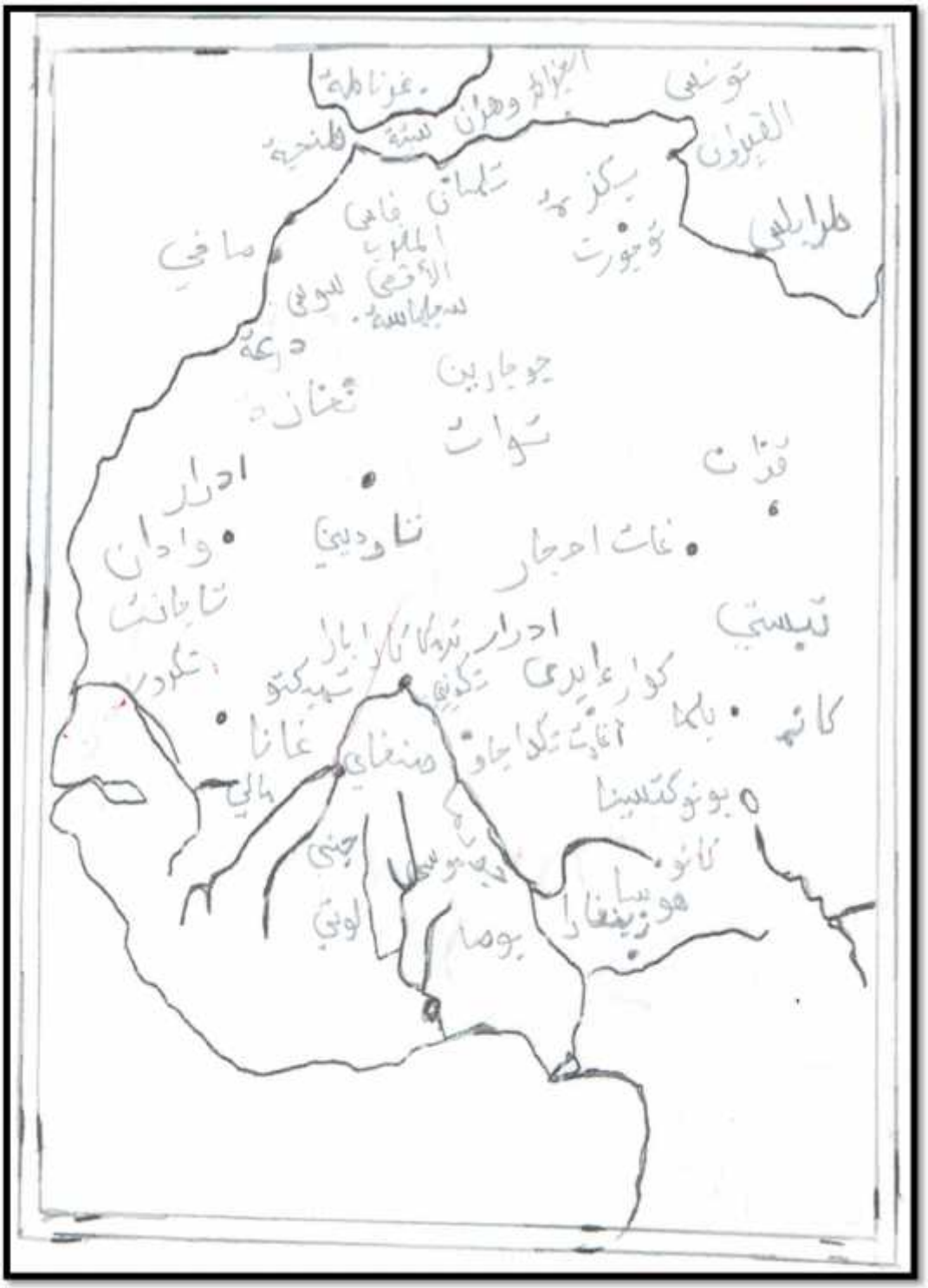

خريطة توضيحية لخط سير الحملة.

ينظر: محمد السيد محمد أبو الرحاب، المرجع السابق، ص: 620.

الملحق رقم : 07.

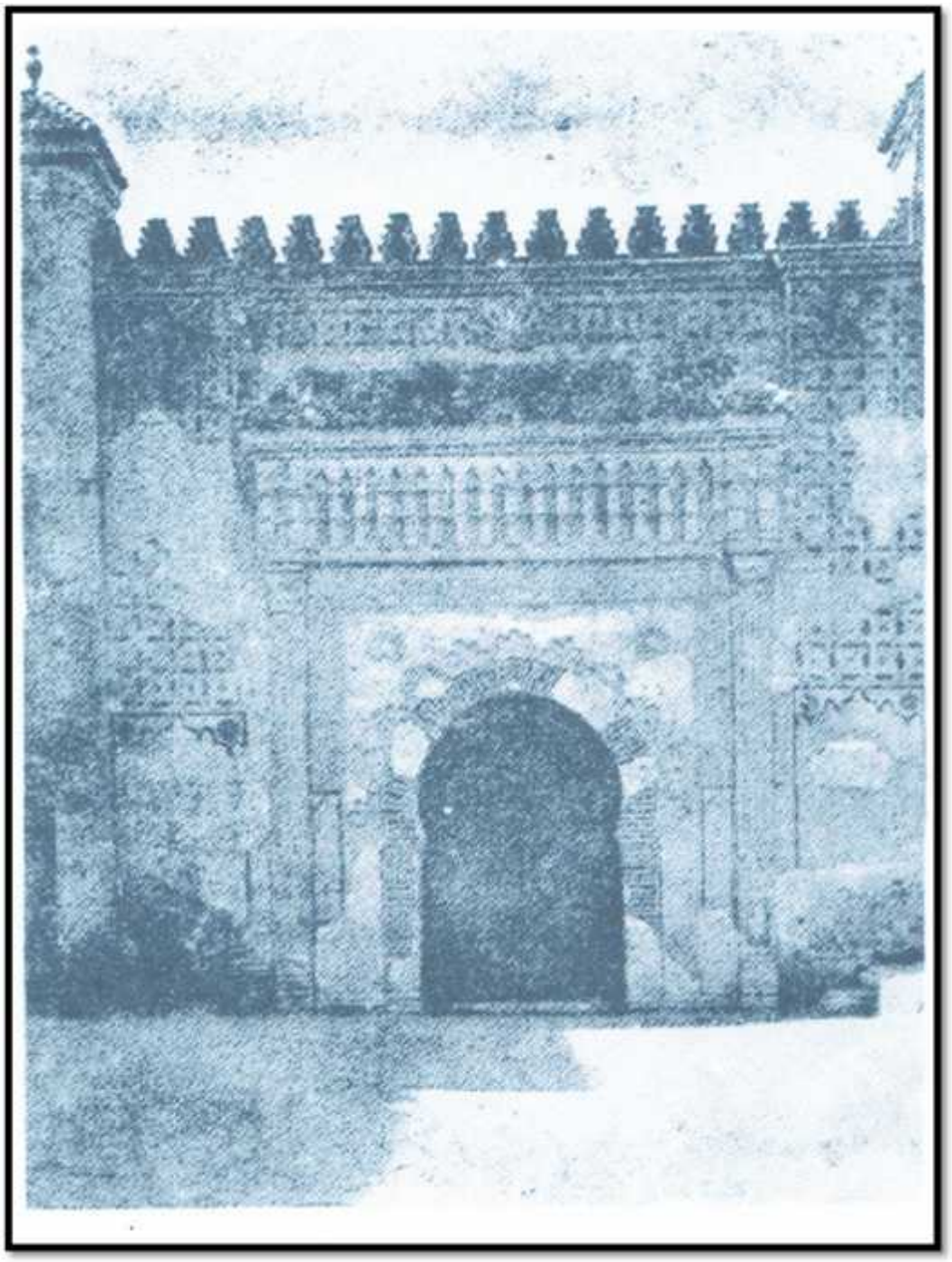

صورة للواجهة الأمامية لقصر البديع.

ينظر: التازي عبد الهادي، المرجع السابق، ص:31.

قائمة المصادر والمراجع

أ/ المصادر:

1- الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، د ط، مطبع بريل، م ط: لندن، س ط: 1863م.

2- الأفراني محمد الصغير: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تح: عبد اللطيف الشاذلي، ط1، د م ط، س ط: 1998م.

3- ابن بطوطة: رحلة إبن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد عبد المنعم العريان، تح: محمد عبد المنعم العريان، ج1، ط1، دار أحياء العلوم ، م ط: بيروت – لبنان، س ط: 1987م.

4- التيطواني أبي عبد الله محمد الكراسي: عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الوسائل، د ط، د م ط، د س ط.

5_ التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الدباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، منشورات دار الكتاب، م ط: طرابلس، س ط: 2000م.

6- الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط1 ط2، مكتبة لبنان، م ط: بيروت، س ط: 1975،1984م.

7- ابن حوقل ابن القاسم: صورة الأرض، د ط، دار مكتبة الحياة، م ط: بيروت، س ط: 1992.

8- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد: ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن لأكبر، ج6، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، م ط: بيروت- لبنان، س ط:2000م.

9- الدمشقي شمس الدين: نخبة الدهر في عجائب البر و البحر، دط، المطبعة الأكادمية للإمبراطورية المقدسة، د م ط، س ط: 1865م.

10- العمري شهاب الدين أحمد بن يحي: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، تح: كامل سليمان الجبوري، د ط، دار الكتب العلمية، م ط: بيروت، س ط: 1971م.

11- القزويني زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد و أخبار العباد، ، د ط، دار صادر، م ط: بيروت، د س ط.

12- القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج5، د ط، دار الكتب العلمية، م ط: القاهرة، س ط: 1915م.

13_ مارمول كربخال: إفريقيا،ج3، تر: محمد حجي، د ط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، م ط: الرباط، س ط: 1989م.

14- المغيلي أحمد بن عبد الكريم: أسئلة الاسقية أجوبة المغيلي، تح: عبد القادر زبادية، د ط، م ط:الجزائر، س ط:2011.

15_ مزاري الآغا بن عودى أبو إسماعيل: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر، ج1، د ط، دار الغرب الإسلامي، م ط: بيروت-لبنان، س ط: 1990.

16- المقدسي محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، د ط، م ط: ليدن، س ط: 1877.

17- المقري أحمد بن محمد: روضة اللآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيت من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، م ط: الرباط، س ط: 1983م.

18- المكناسي أبي العباس أحمد بن محمد: ذيل وفيات الأعيان المسمى ذرة الحجال في أسماء الرجال-960-1025هـ، ج1، تح: محمد الأحمدي أبو النور، م ط: القاهرة.

19- مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية للأندلسي، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط1، د م ط، س ط: 1979م.

20- محمد بن علي بن الشباط التوزري: وصف الأندلس(قطعة من كتاب صلة الصمط وسمة المرط)، تح: أحمد مختار العابدي،ط1، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، م ط: مدريد، س ط: 1971.

21- الزياني أبو قاسم: تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تق: رشيد الزاوية، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، م ط: الرباط، س ط: 2008م.

22- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار لدول المغرب الأقصى- الدولة السعدية- ج5، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، د ط، دار الكتاب الدار البيضاء، د م ط، س ط: 1997م ،ص:3.

23- الوزان الحسن بن محمد: وصف إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، م ط: لبنان، س ط: 1983م.

ب/ المراجع:

24- بوعزيز يحي: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، م ط: الجزائر، س ط:2009م.

25 - الأرقش دلندة وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، د ط، مركز النشر الجامعي، ميدياكوم، د م ط، س ط: 2003م.

26- التازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، مج2، د ط، د م ط، س ط: 1986م.

27- ــــــــــــ : قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا- بواعث تشييده وتخريبه، د ط، م ط: الرباط، س ط: 1977م.

28- باري محمد فاضل علي وكريدية سعيد إبراهيم: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، ط1، م ط: لبنان، س ط: 2007م.

29- بوعتروس أحمد: الحركات الإصلاحية في أفريقيا جنوب الصحراء ابان القرن الثالث عشر الهجري- التاسع عشر ميلادي، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر، م ط: الجزائر، س ط: 2009م.

30 - جلال يحي: المغرب الكبير – العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، ج3، د ط، دار النهضة العربية، د م ط، س ط: 1981م.

31- ــــــــــــ:تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، د ط، المكتب الجامعي الحديث، م ط: الإسكندرية، س ط: 1999م.

32- جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 9م إلى 11م، ط1، منشورات بلوتو، م ط: الجزائر، س ط: 2011م.

33- جنحاني الحبيب: دراسات في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الإسلامي، ط2، دار الغرب الإسلامي، م ط: بيروت- لبنان، س ط: 1986م.

34- جوان جوزيف: الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر: مختار السويفي، د ط، م ط: القاهرة ، س ط: ،1984م.

35- الجمل عطا الله شوقي: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث- ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب، ط1، م ط: القاهرة، س ط: 1977م.

36- ــــــــــــــــ: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، د ط، م ط: القاهرة، س ط: 1998م.

37- ج.ت. نياني: تاريخ إفريقيا العام من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، ج4، د ط، المطبعة الكاثوليكية، م ط: بيروت، س ط: 1988م.

38- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10)، ديوان المطبوعات الجامعية، د م ط، د س ط،

39- حجي محمد: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، د ط، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، د م ط، د س ط.

40- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ من بداية المرينين إلى نهاية السعديين، مج 1، ط1، الدار البيضاء، د م ط، س ط: 1978.

41- حسين إبراهيم محمد: تاريخ الإسلام في المغرب العربي، د ط، دار التعليم الجامعي، م ط: الإسكندرية، س ط: 2013م.

42- حسين عبد الله: السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، د ط، د م ط، س ط: 2012م

43- حسين محمد نبيلة: تاريخ الحضارة الإسلامية، د ط، دار المعرفة الجامعية، د م ط، س ط: 2007م.

44- حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج3، ج2-3، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، م ط: بيروت- لبنان، س ط1992.

45- أبو خليل شوقي: أطلس دول العالم الاسلامي، ط 2، دار الفكر، م ط: دمشق، س ط: 1998.

46- أبو خليل شوقي: واد المخازن معركة الملوك الثلاثة القصر الكبير، ط1، دار الفكر، م ط: دمشق- سوريا، س ط: 1988.

47- الدالي الهادي مبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، م ط، القاهرة، س ط: 1999م.

48- دنيس بولم: الحضارات الإفريقية، تر: علي شاهين، د ط، منشورات دار مكتبة الحياة، م ط: لبنان، س ط: 1974م.

49- دياب فؤاد: المغرب الأقصى بين الماضي والحاضر، د ط، الدار القومية للطباعة والنشر، م ط: القاهرة، د س ط.

50- روحي إدريس الهادي: الدولة الصنهاجية – تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، م ط: لبنان، س ط: 1992م.

51- زبادية عبد القادر: مملكة سونغاي في عهد الأسقيين 1493-1591، د ط، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، م ط:الجزائر، د س ط.

52- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي- الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، ج3، د ط، مطبعة أطلس، م ط: القاهرة، س ط: 1990م.

53- السعدي عبد الرحمن: تاريخ السودان، د ط، مطبعة بريدن، م ط: باريس، س ط: 1981م.

54- سيد محمد و محمد أبو رحاب، العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين- دراسة أثرية معمارية، ط1، م ط: القاهرة، س ط: 2008.

55- السيد محمود: تاريخ دول المغرب العربي .ليبيا. تونس. الجزائر. المغرب. موريتانيا، د ط، م ط: الإسكندرية، س ط: 2006.

56- شاكر محمود: التاريخ الإسلامي- التاريخ المعاصر غربي إفريقيا، ط2، المكتب الإسلامي، م ط: بيروت، س ط: 1997م.

57- شكري أحمد: الإسلام و المجتمع السوداني (إمبراطورية مالي 1230/1430)، ط1، المجمع الثقافي، م ط: أبوظبي، س ط: 1999م.

58- شهاب أحمد نهلة: تاريخ المغرب العربي، دار الفكر، م ط: عمان، س ط: 2012م.
59- الصافي جعفري مبارك: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، د ط، دار السبيل للنشر والتوزيع، م ط: الجزائر، س ط: 2009م.
60- الصلابي علي محمد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ط3 ، دار المعرفة، م ط: بيروت، س ط: 2009م.
61- بن الصديق لعربي: كتاب المغرب، ط3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والشر، دار الثقافة، د م ط، س ط: 1984م.
62- طاهر أحمد: أفريقيا فصول من الماضي و الحاضر، دار المعارف، م ط: القاهرة.
63- عامر محمد علي، فارس محمد خير: تاريخ المغرب العربي الحديث- المغرب الأقصى، ليبيا، د ط، منشورات جامعة دمشق، س ط: 1999م-2000م.
64- عايدة موسى: تجارة العبيد في إفريقيا، د ط، م ط: الجزائر، س ط: 2009 .
65- عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، جمعية المؤرخين المغاربة، م ط: الرباط، س ط: 2006م.
66- الغربي محمد : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ج1، مؤسسة الفليج الطباعة والنشر، م ط: الكويت، س ط: 1982.
67- غلاب عبد الكريم: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس و الجزائر، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، م ط: بيروت، س ط: 2005م.
68 - الغنيمي مقلد عبد الفتاح: موسوعة تاريخ المغرب العربي- المغرب العربي بين بني وطاس والسعديين وظهور الأشراف العلويين، م3، ج6، د ط، مكتبة مدبولى، م ط: القاهرة، د س ط.
69- الفيتوري عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء، ط1، دار الكتب الوطنية، م ط: بن غازي، س ط: 1998م.
70- الفيلالي عبد الكريم: التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير،ج3، ط1، م ط: القاهرة، س ط: 2006.

71 – المختار الغريسي المختاري الطيب: كتاب القول الأعم في بيان انساب قبائل الحشم ، ط1، المطبعة الخلدونية التلمسانية، د س ط.

72- مؤلف مجهول: مغرب الأقصى- مراكش قبل الحماية – عهد الحماية- إفلاس الحماية، مكتب المستندات والأنباء، الطبعة العربية، د م ط، د س ط.

73- مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، د ط، دار الشؤون الثقافية العامة، م ط: العراق، د س ط.

74- نجيب زبيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس،ج2، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، م ط: بيروت، س ط: 1999م.

75- هاشم ناصر حسين الكعبي، وناس زمان عبيد: تاريخ علاقات العرب مع إفريقيا جنوب الصحراء، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، م ط: عمان، س ط: 2014م.

76- اليوبي لحسن: الفتاوي الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، د ط، م ط: المغرب، س ط: 1998م .

77- يونان لبيب رزق و محمد مزيس: تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912م، د ط، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د م ط، س ط: 1982م.

ج/ الدوريات:

78- مؤلف مجهول: التفاعل الحضاري في إفريقيا، مجلة إفريقيا قارتنا، ع4، س 2013

79- بالعربي خالد: تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، س: 2011م.

80- الياسري فاهم نعمة: الإسهامات السياسية لمتصوفة المغرب الأقصى في العصر الحديث، مجلة كلية التربية/ واسط، ع12، كلية التربية قسم التاريخ:

د/ الملتقيات:

– الملتقى الوطني الأول حول العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، جامعة أدرار، س ط: 2009م:

81- سعدو التالية: علاقة إقليم توات بمراكش على عهد المنصور الذهبي986-1012هـ/ 1578-1603م.

82- طيب بوجمعة نعيمة: الموقع الجغرافي لإقليم توات.

هـ / الرسائل الجامعية:

83- دوبالي خديجة: الفكر الديني عند المورسكيين الأندلسيين خلال القرنين 16-17 ميلاديين من خلال المخطوطات الألخميادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، س: 2013- 2014.

84- أحمد يحي أمينة: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في ظهور الحركات الجهادية في غرب إفريقيا، مذكرة لنيل شهادة الماستر،جامعة الجيلالي بونعامة، خميس ميانة، س: 2014-2015.

85- عبد الشافي سالم إيهاب شعبان: القضاء في دولتي مالي وصنغي و أثره الحضاري في المجتمع (636هـ-1000هـ/1238م-1591م)، رسالة مقدمة للحصول على شهادة الماجستير، س2012.

86- قداري رضية: دور المدن المغربية في نشر الإسلام في السودان الغربي تيهرت نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة ابن خلدون، تيارت، س 2014-2015.

87- قدوري عبد الرحمن: الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 9-10هـ/ 15-16م، دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، د س.

88_ بن خروف عمار: العلاقات بين الجزائر والمغرب (223-1069هـ / 1517-1659م)،رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، جامعة دمشق، س ط: 1983م.

89- نوقال فريدة: الحركة العلمية لقبائل الفلان ببلاد السودان الغربي خلال ق 13هـ-19م، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس، جامعة ابن خلدون، تيارت، س: 2009-2010

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

البسملة

كلمة شكر

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ-هـ

المدخل: نشأة المملكة السعدية (1509-1582م)

المملكة السعدية من 1509إلى غياية سنة 1582.....8

التعريف بشخصية أحمد المنصور الذهبي.....11

الفصل الأول: الإطار الجغرافي لبلاد السودان الغربي وعلاقاته مع المغرب الأقصى قبل سنة 1591م

المبحث الأول: الإطار الجغرافي 16

أصل التسمية.....16

الموقع الجغرافي.....17

البنية الجغرافية 19

المبحث الثاني: أهم مماليك السودان الغربي 21

مملكة غانا تاريخيا وجغرافيا.....21

الإطار الجغرافي والتاريخي لمملكة مالي.....23

مملكة الصنغاي تاريخيا وجغرافيا.....25

المبحث الثالث: العلاقات المغربية السودانية قبل سنة 1591م.....26

العلاقات الإجتماعية.....26

المبادلات التجارية.....29

التواصل الثقافي.....35

الفصل الثاني: سيرورة الحملة (الوقائع والأبعاد) 1582م–1591م

المبحث الأول: الدوافع المحركة للحملة.....39
الدوافع السياسية والعسكرية.....39
الأسباب الاقتصادية.....42
المبحث الثاني الإعداد للحملة.....44
استشارة المنصور لمجلسه حول مشروع الحملة.....44
تجيز الجيش.....46
المبحث الثالث: سيرورة الحملة (1589-1591م).....48
استيلاء أحمد المنصور على توات وتيكورارين.....48
اخضاع منطقة كاغو(991هـ-1583م).....50
محاولة احتلال الصنغاي.....50
استكمال مشروع الحملة.....51
المبحث الثالث: انعكاسات الحملة على كل من المغرب والسودان الغربي.....57
انعكاسات الحملة على بلاد السودان الغربي.....57
تأثيرات الحملة على المغرب الأقصى 59
انعكاسات الحملة على المستوى الداخلي.....59
على الصعيد الخارجي.....62
الخاتمة.....64
قائمة الملاحق.....68
قائمة المصادر والمراجع.....76
فهرس الموضوعات.....85